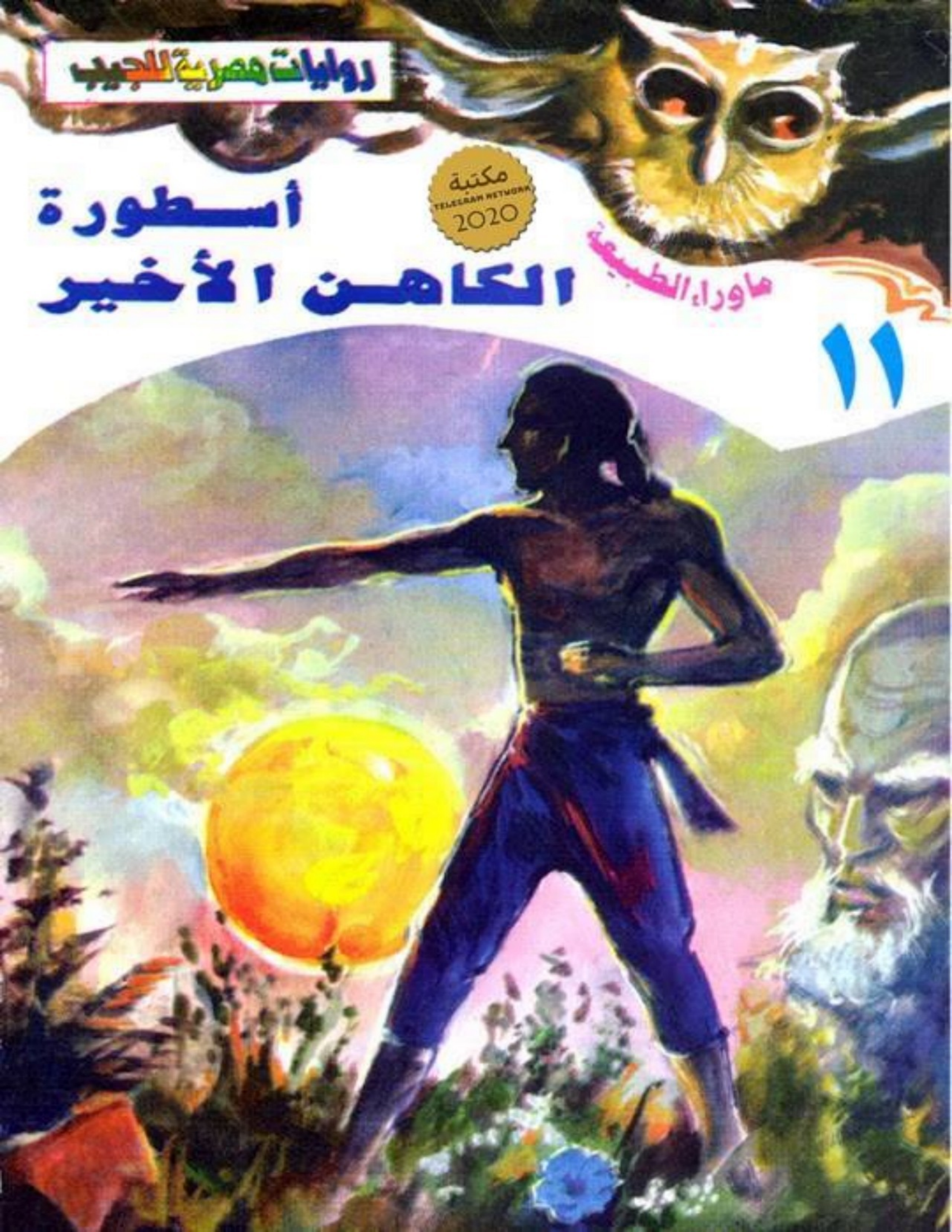

روايات مصرية للجيب
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020
أسطورة
الكاهن الأخير
ما وراء الطبيعة
١١

مكتبة

Telegram Network

2020

«المكتبة النصية»

قام بتحويل سلسلة:

(ما وراء الطبيعة)

» لـ د. أحمد خالد توفيق «

إلى صيغة نصية:

(فريق الكتب النادرة)

يزن – المملكة المتحدة



TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

١١

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

أسطورة الكاهن الأخير

روايات مصرية للجيب

●

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو
الاقتباس

●

بريشة

الأستاذ/إسماعيل دياب

●

إشراف

الأستاذ/ حمدي مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة – المطابع ١٠،٨ شارع المنطقة
الصناعية بالعباسية – منافذ البيع ١٠،١٦ شارع كامل صدقي الفجالة – ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري
روكسى مصر الجديدة – القاهرة ت ٢٨٣٥٥٥٤ – ٥٩٠٨٤٥٥ – ٢٥٨٦١٩٧ فاكس – 202/2596650 ج.م.ع.
4 شارع بدوي / محرم بك – الإسكندرية

مقدمة

دكتور (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم المتقاعد غير المتزوج، الذي تحدى كل قواعد الطب ودراسات الشيخوخة وعاش حتى هذه اللحظة - برغم أمراضه العديدة - كي يحكي لكم ذكريات شبابه.

مريض بالذبحة الصدرية.. نعم..

معتل البنيان.. عصبي المزاج.. نعم..

مصاب بتصلب الشرايين.. نعم..

لكني أحتفظ لنفسي بشيء واحد لم أفقده بعد، ألا وهو ذاكرتي التي تحتفظ بكل شبح وكل مسخ وكل كابوس صادفني في رحلتي الطويلة التي أفنيتها بين المقابر

والقصور المسكونة والمستنقعات التي تجوبها الشياطين...
لم أنس شيئًا...
ولكم سأحكي كل شيء بلا تردد.. لأنكم أصدقائي الوحيدون، وآخر من بقى لي في هذا العالم..
لحظة واحدة حتى اخفض صوت (التلفزيون) بعدها أعود لكم كي أسألكم عن القصة التي أحكيها اليوم...
هل تحبون قصص مصاصي الدماء فأحكي لكم أسطورة الشاحبين؟
أم تحبون حكايات السحرة فأحكي لكم أسطورة الساحر الأسود؟.. أم أنتم مغرمون بالنباتات الشيطانية فأحكي أسطورة النبات المنسي؟

... أراكم سئمتم الرعب وتريدون بعض التغيير..

ولم لا؟.. سأحكى لكم اليوم قصة لا رعب فيها.. ولكنها مفعمة بالغرابة وكل ما فيها يتحدى المنطق...

لقد قابلتم - في قصتي الثامنة على ما أذكر - الثنائي المتماثل (سالم) و (سلمى) وهما ضيفان على حكاياتي، لكنني أحبهما برغم كل شيء..، واليوم تقابلون ضيفًا جديدًا هو (الأخرس).. لا تندهشوا!.. فهذا هو اسمه الذي كان نعته يومًا ما..، أما اسمه الأصلي فهو (هن-تشو-كان)، وأعتقد - وأنتم توافقونني - أن (الأخرس) أسهل لفظًا وإن كان أقل أناقة من الاسم الأصلي لهذا الفتى..!..

ستكون رحلتنا طويلة حقًا..
وستعرفون السبب بعد قليل..

* * *

١ - الزهرة الزرقاء..

كان (هن - تشو - كان) زهرة زرقاء...
هل رأى أحدكم زهرة زرقاء؟!..
هناك زهور حمراء وبيضاء وبنفسجية..
لكن (هن - تشو- كان) كان زهرة زرقاء..
هكذا قال له الكاهن الأكبر وهو يضفر له جدائله الطويلة المنسابة:

- أنت يا (هن - تشو - كان) زهرة زرقاء بين ثلوج (التبت).. إن الزهور الزرقاء ساحرة الجمال نادرة كالياقوت، لكن أحدًا لا يفهمها.. والزهور الأخرى تحسدها..، لهذا - إذا أنت وجدت زهرة زرقاء - لا تنتظر أن تكون سعيدة..

نعم.. كان (هن - تشو - كان) زهرة زرقاء..
ومن هنا تبدأ قصتنا..

* * *

ثلوج (التبت) العاصفة.. والظلام.. وحيوان (الياك) ذو الفراء الكث الدافئ.. والدير الجاثم فوق أكداس الجليد..
لا تذكر متى ولا كيف وجدت نفسك في ذلك العالم، لكنك - حتمًا - دخلته وأنت بعد طفل مذعور شاحب الوجه متلاحق الأنفاس، تمشي بخطا مرتجفة متشبثًا بذيل عباءة أمك وهي تتقدم إلى الكاهن الأعظم المتربع القرفصاء على صخرة (النرفانا):

- هوذا ابني أيها الكاهن الأعظم.. وكنت قد نذرته للدير لو عاش حتى يرى عشرة فصول شتاء...

هل كانت تانكم الجمرتان المتقدمتان هما عيناه ترمقانك في اهتمام من تحت حاجبين كثين كفراء (الياك)؟..

- اقترب يا (هن - تشو - كان)...

كيف عرف هذا الرجل اسمك؟.. إن أحدًا لم يخبره به!..

- أنت لم تعد (هن - تشو - كان).. بل أنت الزهرة الزرقاء.. غريب مثلها.. نادر مثلها.. جميل مثلها.. حزين مثلها...

وعلى رأسك مسح وحك أنفه الضخم البارد بأنفك الأحمر الدافئ محييًا..

عندئذ عرفت أن هذا الدير هو بيتك وغدك..
وعرفت أن (النافاراي) ستكون فلسفة حياتك..

❋ ❋ ❋

يقول الأخ (ميانج):
- "عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق،.. عندئذ يبدأ فجر (النافاراي).."

❋ ❋ ❋

وعلى ضوء الشموع كان (هن - تشو - كان) يدرس الـ (بهاجافادجيتا) الكتاب الذي

يربط البوذية بالهندوك، في حين يجلس أمامه الكاهن الأعظم يحسو الشاي بالزبد ويصحح له ألفاظه.. ويجيب عن أسئلته:

- هل نحن بوذيون أيها الأخ الأكبر؟

- لسنا بوذيين..

- هل نحن هندوس؟

- لسنا هندوسًا..

- إذن نحن كونفوشيوسيون..

- ولا هذا يا بني...

- إذن من نحن؟..

تتسع عينا الصغير في حيرة بريئة.. إذ يجيبه الكاهن في رزانة وتؤدة:

- نحن (نافاراي) يا بني...

ويحسو جرعة أخرى ويغمغم:

- نحن نأخذ أفضل شيء من كل شيء..!..، لسنا سلبيين كالبوذيين.. ولا عبدة أبقار كالهندوس.. ولا غارقين في فلسفة غامضة كالكونفوشيوسيين..

* * *

يقول الاخ (ميانج):
- لماذا تحرق النار؟.. لأنها نار!..، لماذا يطفئها الماء؟.. لأنه ماء..!..، لماذا يرتوي به النمر؟.. لأنه نمر!..
تتسع عينا الصغير أكثر.. ويهمس:
- لا أفهم...
يبتسم الأخ (ميانج) في رزانة.. ويربّت كتفك:

- لكنك - يومًا - تفهم.. وعندئذ تكون (نافاراي) حقيقيًا..!

* * *

وتهب العواصف الثلجية..

ويخرج الرهبان وسط الثلوج حافيي الأقدام لا يحملون سوى عصيهم ويقفون في مهب العاصفة يتكاثف الثلج فوق عوارضهم وأنوفهم، لكنهم لا يتحركون ولا يرتجفون..

تصطك أسنانك وتفقد الإحساس بأناملك التي تحترق أعصابها لكن الأخ (ميانج) يهمس لك:

- إن الطبيعة لا تؤذي أطفالها.. ثق بها ودعها تحنو عليك...

لكنك ترتجف.. ترجف.. وتشعر أنك تموت..

- (النافاراي) لا يشعر بالبرد أبدًا لأنه يملك ناره الداخلية...

وبعد ثوان تشعر أنك في حال أفضل.. وتزول الزرقة المشؤومة عن ساقيك وأطراف أناملك..، ها هي ذي الحرارة الداخلية التي يتحدثون عنها تسري في أجزاء جسدك..

- إن الكون ليس سوى ما تعتقده فيه.. أغمض عينيك وتخيل شمسًا حارقة في صحارى المغول وقافلة جمال..

تغمض عينيك وتحاول.. تحاول.. تحاول..، الأمر صعب لكنك تريده بعمق..، وفجأة يتصايح الرهبان بصيحات

الإعجاب والانبهار..، ويدنو منك الأخ (ميانج) ليمسح جبينك.. ويهتف:
- لقد فعلتها!.. إن العرق يملأ جبينك!
وعلى كفه تجد أربع قطرات ماء تحولت إلى أربع ندف ثلج بعد ثوان!
لحظتها عرفت أنك ستكون منهم يومًا ما..

* * *

أما الأخ (وين - بياو) فكان يثير دهشتك بخاصية الارتفاع في الهواء حين يصل إلى حالة (النرفانا) الكاملة..، كان ينظر للأرض في تركيز وقد قطب جبينه.. ثم فجأة ترتفع قدماه عن الأرض ببطء شديد قامة أو قامتين وهو في غيبوبة عميقة..

ثم إنه ينزل إلى الأرض ببطء بعد دقائق، ويحدثك بكلمات غامضة يقولون إنها (أسرار الكون)..



أما الأخ (وين ــ بياو) فكان يثير دهشتك بخاصية الارتفاع فى الهواء حين يصل إلى حالة (النرفانا) الكاملة ..

وكنت تتساءل عن الكيفية التي يصل بها المرء إلى هذه الدرجة العالية من الشفافية.. فكانوا يقولون لك:

- هو مستو عالٍ جدًا من النقاء لا يصله سوى قليلين، والسر لا يفسح عن نفسه لكنك ستجد نفسك محلقًا ذات يوم.. فقط إذا ما تخليت عن ماديتك..

❋ ❋ ❋

كانت عضلاتك تتكور، وصوتك يزداد خشونة، وفوق شفتك العليا ازدهر الزغب كنسيج عنكبوت استقر هنالك..

كانت قوى غريبة تسري في عروقك، وثمة روح مجنونة ثائرة تحاول الخروج

من جسدك..
يومها قادوك إلى الكاهن الأعظم المتربع داخل الدير وحوله الشموع.. ليقول لك وهو يرشف الشاي بالزبد:
- مرحي.. هأنتذا قد صرت رجلًا، وعليك أن تتعلم كيف تكون (نافاراي) حقيقيًا، ولكن - يا بني - أنت تعرف أن أسرارنا هي سلاسل من الفولاذ تشدنا لهذه الأرض.. ومتى تلقيت أسرارنا ربطت نفسك ما حييت بهذا الدير..
ثم تقلص وجهه في شيء من القسوة وأردف:
-.. فهل أنت حقًا راغب في الحياة هنا أبدًا؟!

رهبة الاختيار والمصير الذي تقرره كلمات.. وعجزك عن الكلام لأن لسانك انحشر في فمك.. - ثم بعد دقائق - همست:

- نعم..!

- أعد القول..!

بصوت أعلى هتفت:

- نعم..!

لم تكن تعلم شيئًا عن الغد.. لكن العالم الخارجي كان غامضًا مسربلًا بالظلال خاليًا من كل ما يجذبك إليه، والحقيقة الوحيدة المؤكدة هي أنك تحب هذا المكان وتأنس لهؤلاء القوم وتعرف كل شيء عنهم.. أما هؤلاء الآخرون..

- فكّر جيدًا.. إن (النافاراي) لا يتزوج ولا يلمس النساء..

آه... كيف تتجاهل كل العواطف البكر المصطرعة في شغاف قلبك، والتي تتمنى أن تهديها يومًا لفتاة ما لها ضفيرة طويلة وقدمان دقيقتان؟!.. إن هذا يبدو شاقًا...

- لا يحق للـ (نافاراي) أن ينجب حتى لا تسلبه ذريته إخلاصه وحكمته.. فهل حقًا تفهم مغبة ذلك؟!

* * *

سأل أحد تلاميذ (جوتاما)[1] أستاذه:

- "كيف نتصرف يا سيدي ازاء النساء؟"..

قال (جوتاما):

- "لا تروهن يا (أناندا)!.. لا تحدثوهن يا (أناندا)!.. وإذا تحدثت إليكم واحدة منهن

فلا تكترث لما تقول يا (أناندا)!..".

* * *

لمدة شهر كامل كان الكاهن الأعظم يدعوه ليعيد السؤال مع زيادة جرعة التصعيب في كل مرة..، وكانت الإجابة دائمًا:

- نعم...

قاموا بتجويعه أيامًا ووعدوه بالطعام الشهي إن قال لا..، تركوه في البرد والظلام ساعات ووعدوه بالدفء إن قال لا..، حرموه من النوم يومين كاملين ووعدوه بتركه وشأنه إن قال لا...

لكنه كان - حقًا - يرغب في أن يظل معهم للأبد..

وجاء اليوم الذي بدأ فيه رحلة (النافاراي)، فوشموا ظهره بوشم التنين المجنح، وثبتوا له قرطًا في الأذن اليسرى، وعقصوا شعره الطويل الأسود خلف رأسه كذيل حصان، وارتدى البيجامة الزرقاء السماوية المميزة لهم..

لقد صار يشبههم وإن لم يصر بعد منهم..

❋ ❋ ❋

يقول الاخ (ميانج):

- الحكمة ذبابة خضراء مهما حاولت اقتناصها بالجهد تفشل، فإن أنت نسيت أمرها وجلست تتأمل؛ حطت على ذراعك من تلقاء ذاتها..!

ثم يقول لك وهو يشعل الشموع:

- لكنهم يقتلون الذباب الأخضر وعليك أن تعرف كيف تحميه!.

وفجأة - دون توقع - تهوي صفعة ساحقة على خدك... أنت لم تر يده تمتد.. ولم تتوقع أية خيانة من هذا القبيل.. تنهض في تحفز شاعرًا بالإهانة وخدك يتوهج بالدماء..

- هيا!.. انتقم لنفسك أيها الضفدع!

لم تتوقع هذا من الأخ (ميانج) الرصين الهادئ..، ثم إنك لا تجرؤ على رد ضربته فهو معلمك قبل كل شيء.. و...

صفعة أخرى لم تر نذيرًا لها...

- (النافاراي) كرامة.. وهو لا يترك أحدًا يصفعه!

الغريب أنه لم يزل جالسًا في نفس الوضع المتأمل الرزين كأنه لم يفعل شيئًا..

صفعة ثالثة على خدك جعلت الدماء تملأ مقلتيك، وفي حنق وثبت نحو الأخ (ميانج) لتمنعه من المزيد من الإهانات..

- بطيء جدًا أيها الضفدع!

كذا يقول لك وهو يروغ بجذعه - دون أن يغير جلسته - من هجماتك المتتالية.. ينحني يمينًا.. يسارًا.. خلفًا.. أمامًا.. كل ضرباتك تذهب في الهواء كأنك تحاول سحق ذبابة خضراء دون جدوى..

- هيا... حاول، أسرع!

وفي النهاية اندفعت بجسدك كله نحوه، لكنه وثب - كالثعلب - جانبًا فارتطم رأسك بالجدار الصخري خلفه..

وبعد هنيهة رفعت وجهك المبتل من على الأرض..

هل كانت دموعًا أم دماء؟.. لا تذكر.. فكلاهما مالح الطعم ممتزج بالألم.. وكان هو جالسًا نفس الجلسة الرزينة الوقور كأنه لم ير شيئًا فضلًا عن فعله..

تمر الدقائق لا يقطعها سوى صوت لهاثك ونشيجك.. ثم سمعت صوته وهو يضغط على مقاطعه:

- إن (النافاراي) لا يبكي.. بل يطلب مزيدًا من المعرفة..

وتنهد وهو يربت على رأسك:

- غدًا أعلمك كيف تتفادى صفعات الآخرين..

* * *

٢ - نافاراي!..

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق.. عندئذ يبدأ فجر (النافاراي)..

*   *   *

إنه المساء...

في صمت يتجه الرهبان إلى هضبة (النمور) لمزاولة تدريباتهم الشاقة على القتال ذلك ديدنهم منذ قرون..

قال الأخ (ميانج) لبطلنا (هن - تشو - كان):

- فلسفة قتال (النافاراي) هي التحاشي.. لا تدع العدو يلمسك.. لا تدعه يتمكن منك، لكن لا تكيل له الضربات.. لا تؤذه..، وبعد قليل سيصيبه الإعياء أو الملل ويتركك..

قال (وين - بياو) وهو يربت على ظهر الفتى:

- قتالنا ليس كقتال الديكة.. بل هو كقتال النمور.. تحرش واستعراض قوة وتحاشي للاشتباك أطول فترة ممكنة..

همس الفتى في رهبة، وهو يلهث بردًا وترقبًا:

- وإذا كان خصمي هو الآخر حريصًا على تفادي الضربات لا أكثر؟

- عندئذ لن يكون خصمك..!.. إن القتال لا ينشأ بين شخصين يحاولان تفاديه..

* * *

وبدأت التدريبات..

في الأيام الأولى شعر (هن - تشو - كان) أن هناك خديعة ما في الأمر.. فلم يتجاوز ما يفعله - طيلة ساعات النهار - أن يلوح بذراعه يمينًا ويسارًا ويحرك قدميه في خمسة أوضاع مرسومة كأنه راقصة..

وكان نظيره في التدريبات هو (جينغ - تشا) الذي ألحق بالدير في ظروف مماثلة..، إلا أن هذا الأخير كان من طينة أخرى.. فعيناه تلتمعان بالشراسة والوقاحة، وجسده مشدود متوتر كالقوس، وفي طبعة ميل للعنف لا يداريه.. والواقع أن الجميع أدرك أنه سيكون مصدر متاعب متجددة،

وأن تعليمه فن (التفادي) سيكون شاقًا لأنه لا يملك أدنى ميل لذلك...

بعد أيام بدأت التدريبات تأخذ طابعًا غريبًا..

كان على (الطلبة) أن يمروا عبر طابور من الرهبان الذين يحملون عصيًا ثقيلة يبغون أن يهووا بها على رءوسهم، وعلى الطلبة أن يتحاشوا هذه الضربات ولا تسلني كيف..!..

لقد كان درسًا مريرًا..

عشرات الضربات العاتية انهالت فوق كتفي الفتى ورأسه ومعصمه.. وفي جزع أدرك أنه لا مزاح في الأمر، وأن عليه - بالفعل - أن يبذل كل ما في وسعه كي

ينجو من الألم.. الألم الممض الذي يمزق أعصابه ويبعثر كرامته الفتية المتقدة..
طفق ينحني.. يتلوى.. يتمرغ في الغبار.. ينثني حول نفسه..
وبرغم الألم كان يتقدم.. يتقدم..
وحين وصل - أخيرًا - إلى نهاية الطابور كان قد نجا من عشرين ضربة قاتلة، وفي أعماقه بدأ يفهم شعور السحلية التي تتملص من مطارديها دون أن تجرؤ علي مهاجمتهم..
لكن الأخ (ميانج) كان بانتظاره.. وفي صرامة همس:
- عُد للطابور..!
- لكني خرجت منه لتوي!!
- أطع!

فأطاع....

إلا أنه - في هذه المرة - كان أفضل وأكثر حذرًا..

* * *

قال الأخ (وين - بياو) للكاهن الأعظم:

- إن الزهرة الزرقاء في تحسن مطرد أيها الأب.. ولكن (جينغ - تشا) مازال شرسًا كالذئب، وحاول أكثر من مرة ضرب مهاجميه..

التمعت عينا الكاهن تحت حاجبيه الكثين:

- إن له روح نمر جريح، لكننا سنروضها..

وأشعل الشمعة التي أمامه لتضيء صفحات كتاب بال قديم:

- غدًا يدخلون قبو النيران الراقصة..

❋ ❋ ❋

قبو النيران الراقصة هو ذروة تدريبات (النافاراي).. وبعده ينتهي صنع (النافاراي) الجديد وتبدأ مرحلة صقله..
لقد صار (هن - تشو – كان) شابًا يافعًا وسيمًا يقف بقامته الفارعة وضفيرته تتدلى على ظهره، وثيابه الزرقاء المميزة.. جسده متوتر كمخالب القط.. وذقنه المربعة الحليقة توحي بقوة الشكيمة..
كان - بالطبع - قد سمع عن هذا القبر ويعلم إلى حد ما ما ينتظره في داخله.. لكنه لم يفشل قط في شيء تمناه حقًا، وهو يتمنى حقًا أن يجتاز هذا الاختبار..، وكان

يعرف أن الكاهن الأعظم سيراقبه من فتحة سرية..

قال الأخ (ميانج) في لطف غير معتاد يثير التوجس في النفس..

- هو ذا النفق.. وكلنا اجتزناه قبلك.. فليس الأمر مستحيلًا..

وابتلع ريقه مردفًا وهو يناوله قربة اللبن ليحسو منها:

- لا تدع نيران ذهنك تخبو ثانية واحدة.. بل أبقها متقدة ذكية لأن الثانية التي تخبو فيها ستكون الأخيرة**!!**

❋ ❋ ❋

تعالوا معي نر هذا الكابوس.. ولا تخافوا ما دمت أقودكم بنفسي..

ما إن ينغلق الباب خلفك حتى يسود الظلام والصمت..

لا ترى سوى ضوء مشعل خافت في نهاية النفق.. ولا تسمع سوى دقات قلبك الذي تدعو الله ألا يتوقف الآن..

هل هذا صوت قعقعة؟.. نعم!.. إنه كذلك!.. بل هو صوت سقالة عملاقة مشتعلة بالنيران تهوى فوق رأسك بالذات من أعلى.. ضوء النيران يملأ المكان..

عندئذ تثب للأمام.. ولكن مهلًا... إلى أين؟.. إن الأرض تلتمع بنصال خناجر مشرعة لأعلى بانتظار من يسقط عليها!..

نعم.. هكذا.. اهبط بدقة على الموضع الوحيد الخالي من الخناجر؛ على حين تسمع صوت الدوي المروع خلفك إذ تتهشم

السقالة ويتناثر الخشب المشتعل في كل مكان..

لا وقت لتتنفس الصعداء - للأسف - لأن عجلة ثمانية تهبط من السقف وهي تدور.. فتتناثر منها المشاعل الملتهبة تجاهك..

اجذب ساقك من بين الخناجر سريعًا ودر حول نفسك في الهواء محاولًا تحاشيها.. إن طرف سروالك يشتعل لكن الوقت لا يسمح بأن تحاول إطفاءه..

حاول الارتكاز على الجدار الجانبي..

لكن.. لا تفعل!.. هل تسمع فحيح الأفاعي الشريرة؟.. الأفاعي المتحفزة التي تحاول اقتناص طرف أناملك، وتنتظرك دون ملل..!

إذن لا جدران جانبية!.. ا

لعجلة تتدحرج نحوك، و...
سهام مشتعلة تتدفع من الحوائط نحوك..!
مستحيل أن يكون هناك جحيم على الأرض بهذه البشاعة.. إنهم لا يدعون لك ثانية واحدة لتلتقط أنفاسك..
ثِب فوق العجلة.. وخذ الحذر من موطئ قدميك لأن هذا السائل الفائر الذي ينتشر في الأرض لا يمكن إلا أن يكون مادة حارقة..
لا تهبط.. تشبث بالحبال المعلقة في السقف..
وهكذا تمر السهام المشتعلة والعجلة من تحت قدميك..
والآن..!..

اترك الحبل فورًا... هل تسمعني؟!.. اتركه فورًا..
ألا ترى الثعبان الملتف حوله وهو يزحف ببطء كي يلدغك؟..
"كلنا اجتزناه قبلك.. ليس الأمر مستحيلًا.. ".



اترك الحبل فورًا !.. هل تسمعني ؟! .. اتركه فورا !..
ألا ترى الثعبان الملتفّ حوله وهو يزحف ببطء كي يلدغك ؟..

"لا تدع نيران ذهنك تخبو ثانية واحدة..".
اترك الحبل واقفز إلى الأرض.. بين الخناجر التي تركوا وسطها مواضع ضيقة لا تكاد تكفي لقدم واحدة.. وبعيدًا عن السائل الجهنمي.. أرجوحة ضخمة تتجه نحوك.. أرجوحة مشتعلة..

"ليس الأمر مستحيلًا..".

انحن لتمر الأرجوحة فوق رأسك.. ثم انطلق سريعًا بين الخناجر قبل أن تعود الأرجوحة إليك..

كم سهمًا ناريًا تحاشيت؟..

كم ثعبانًا كاد يلدغك؟..

كم كتلة نارية هوت فوقك؟

لا تذكر..

لقد تداخلت الرؤى والمشاهد.. لكن امتزجت بسرعة الكون ذاته.. لم تكن أنت من يتحرك بل الشهب والأجرام والسدم والإلكترونات في مداراتها الأبدية.. كنت لثوان تعيش بأعصاب القط الخائف، ولثوان تعيش بتوتر الثعبان الغاضب، ولثوان تفهم تمامًا مشاعر البعوضة التي تهوى نحوها كف فظة...

فقط تذكر أنك فعلتها....

وعند مخرج النفق خرجت متوترًا زائغ العينين..

حتى أنك وثبت متزين للخلف مفلتًا من يد الأخ (وين - بياو) التي امتدت لك مصافحة مهنئة..

وتعالى صياح الرهبان احتفالًا بالراهب الجديد...
ومعهم تمضي إلى الكاهن الأعظم ليخبرك أنك نجحت واجتزت أسوأ لحظاتك بنجاح..
وفي رقة يسألك أهم سؤال في الكون:
- لم لم تحرق الأفاعي بشعلة نار؟
- لأنني نافاراي!
- ألم تخش الموت؟
- (النافاراي) لا يخشى سوى موت الكائنات الحية الأخرى..
إنها من المرات القلائل التي شوهد فيها الكاهن الأعظم يبتسم في رضا..
وفي المساء عرف (من - تشو - كان) أن (جينغ - تشا) قد عبر نفس النفق بنجاح..
وإن اضطر إلى أبعاد الأفاعي بجذوة

نيران، الأمر الذي وجده الكاهن الأعظم دليلًا على ضيق الحيلة والعدوانية التي لا مبرر لها!!..

أنا لا ألوم (جينغ - تشا) أبدًا ولا أحسب أحدكم يلومه، لأننا كنا جميعًا سنفعل نفس الشيء لو لم نمت ذعرًا في أول لحظة ندخل فيها ذلك النفق..

لكن الفارق هنا هو أن الاختبار ليس الغرض منه قتل الممتحن بل اختبار أخلاقياته وجدارته بأن يكون (نافاراي).

لم يستطع (جينغ - تشا) أن يكون (نافاراي) لكنه لم يطرد من الدير.. وكان هذا تسامحًا أحمق....

تسامحًا لا مبرر له على الإطلاق....

* * *

٣ - الليلة الأخيرة..

مرت أعوام...

وعندما جن الليل اصطحب (هن - تشو - كان) تلميذه الصغير مرتجف الأطراف والفؤاد إلى صخرة (النرفانا) المكسوة بالثلوج..

وفي تؤدة همس له:

- لماذا تحرق النار؟.. لأنها نار..، لماذا يطفئها الماء؟.. لأنه ماء.. لماذا يرتوي منه النمر؟.. لأنه نمر..

يغمغم الصغير في رهبة:

- لـ.. لا.. أفهم..

- لكنك ستفهم يومًا ما.. وعندئذ تكون (نافاراي) حقيقيًا..

وكان (هن - تشو - كان) قد فهم منذ أعوام.. ذلك التسامح المطلق مع طبائع الأشياء، لأنها لا تكون سوى نفسها.. وليس لك أن تتوقع أكثر من أي شيء..، حين تفهم أن النار لا حيلة لها إلا أن تحرق.. والماء لا حيلة له سوى أن يطفئ.. عندئذ تغفر للثعبان لدغاته وللقط خدوشه ولخصمك ضرباته..

كل ما يمكنك عمله هو أن تتفادى الأذى..

لكن أعوامًا عديدة تنتظر الصبي كي يعرف ما عرفه (هن - تشو - كان) وسيكون عليه أن يجتاز اختباراته الخاصة

وينال خبراته الذاتية.. لأن أحدًا لا يهديك الحكمة.. بل أنت من تهديها لنفسك..

* * *

يقول (جوتاما):

- "كل من يفصم صلته بما عداه، ويهزم الإغراء.. لهو أعظم الرجال..".

* * *

كانت الإضاءة الخافتة تجعل الرؤية متعذرة في صومعة الكاهن الأكبر لكن صوته الواهن المتداعي كان قادرًا على جعلك ترى وجهة المفعم بالتجاعيد وجفونه

الذابلة.. لقد صار شيئًا فانيًا لكنه ازداد هيبة..

- ادخل يا (هن - تشو - كان)..

منذ أعوام طوال لم ينادك باسمك..هل كان هذا نذيرًا ما؟..

- لقد عشت بيننا وصرت واحدًا منا.. ولم نكن مخطئين حين انتظرنا منك الخير..

احمر وجه الفتى وأطرق للأرض عاجزًا عن التفوه ببنت شفة..

أمس فقط استطاع أن يصل إلى مرتبة التأمل الكاملة التي وصل إليها الأخ (وين - بياو).. وغرق في غيبوبة كاملة لا يذكر منها سوى حقائق علوية لا يعرف كنهها..، وحين عاد إلى الوعي أخبره الرهبان أنه ارتفع عن الأرض... بضعة سنتيمترات!..

منذ شهر فقط أخترق بقبضته الصخر القاسي..، ركز أفكاره وحشدها في صورة واحدة..صورة يده غائصة في الصخر..، تخيل جزيئات يده تتباعد... وتتباعد لتفسح بينها مكانًا لجزيئات الصخر..، العنصران يمتزجان.. يلتحمان...

وحين أفاق كانت يده غائصة حتى المرفق في الصخرة..!

كان يتقدم دون شك..

وكان يستحق كل هذا الثناء..

اكتسب صوت الكاهن نبرة رهيبة مثيرة للوجل وهو يغمغم:

- الآن حان الوقت كي أطلعك على سر أسرارنا..

وفي تؤدة نهض إلى تمثال كبير لـ (بوذا) متربعًا في وضع التأمل الشهير، واستدار إلى الفتى ليرى - في الضوء الخافت - رد فعله إزاء هذا الفتح.. الجديد..

وبنفس الهدوء المتعمد أدار رأس التمثال فدارت..، عندئذ أدرك الفتى المذعور أن الرأس هو سدادة لجسد التمثال المجوف يمكن انتزاعها لتكشف مجموعة من الأوراق المصفرة المهترئة الملفوفة في فتحة العنق..

- هو ذا كتابنا.. حاضرنا ومستقبلنا.. الـ (شوكارا).. الكتاب الذي يحوي أسرارنا وفلسفتنا وأسلوب عملنا...

ونظر إلى الفتى نظرة لا مزاح فيها:

- أنت اليوم تعرف موضعه.. قليلون في هذا الدير يعرفون.. والمعرفة عبء لا يفهمه سوى الرجال.. المعرفة ألم دائم وعذاب مقيم..، لأنك لم تكن تخشى شيئًا وأنت جاهل.. أما اليوم....

وأعاد غلق الفتحة مستغلًا رأس (بوذا) الذي أداره حول محوره كسدادة الزجاجة، وهو بعد يستطرد:

- ربما سألوك.. ولربما عذبوك.. لكنك لن تتكلم.. لأنك تفهم أن هذا الكتاب هو حياتنا..

ثم قال وهو يعود إلى الجلوس في ركن الغرفة متأملًا التمثال:

- سيصطرع (الين) و (اليانج) في أعماقك[2] لكنك ستنتصر.. أنا أعرف أنك

ستنتصر.. ومن اليوم أنت من يحمي هذا الكتاب..

كان الفتى يرتجف رهبة.. المسئولية.. الفخر والخوف.. كان يتمنى ذلك لكنه كان يخشاه بنفس القدر..

قال الكاهن الأعظم وهو يشعل (السماور):

- غدًا تبدأ مرحلة الـ (سارايانا)..!

- (سارايانا)؟...

- نعم.. (سارايانا).. إن عقيدة (النافاراي) تنقسم إلى مرحلتين.. مرحلة التفادي أو القتال السلبي واسمها الـ (رانجانا).. ثم مرحلة الهجوم أو القتال الإيجابي واسمها الـ (سارايانا)..، والكاهن لا ينتقل من المرحلة الأولى للثانية إلا بعد أن يثبت

براعته في التفادي ومقت الاعتداء.. عندئذ يتعلم كيف يهاجم.. إنه يكون وقتها كالنمر الذي يفضل النوم في الشمس فلا يخرج مخالبه إلا لحظة الخطر الحقيقي..

- إذن.. الـ (رانجانا) وحدها لا تكفي لحمايتي؟

- تكفي لحمايتك لكنها لا تكفي لحماية أحبائك ومبادئك..، لو أن لصًا هاجم دارك فلن يمنعه (التفادي) من سرقتك.. لن يمنعه من إيذاء أمك العجوز.. لن يمنعه من تمزيق كتب صلواتك وسكب زيت الموقد..

- ومتى أبدأ الـ (سارايانا)؟

- غدًا..!

ابتلع الفتى ريقه وسأل السؤال الذي كان يتمنى أن تكون إجابته: لا:

- و.... (جينغ - تشا)؟.. هل يبدأ معي؟
ابتسم الكاهن الأعظم في الضوء الخافت المنبعث من (السماور).. وغمغم:
- أنت تكره (جينغ - تشا).. أليس كذلك؟
- أ.. أ.. أنا..
- بلي تكرهه.. وروحك مثقلة.. لكنك تخشى أن تقولها..، فلتهدأ بالًا.. إن (جينغ - تشا) لم يصر (نافاراي) قط.. ولن يصير..، ومن ثم هو غير مؤهل للـ (سارايانا)..، وتعليمها له كتعليم الشراسة لخنزير بري.. لا جدوى منه.. بل خطر داهم على الجماعة..
ثم صمت الكاهن الأعظم فعرف (هن - تشو - كان) أن الحديث قد انتهى..

* * *

- تشا سارايانا!

يقولها وهو يباعد ما بين ساقيه مثبتًا قدميه بقوة على الجليد..

- جوانغ سارايانا!

يقولها وهو يفتح ذراعيه المشدودين المتوترين مباعدًا أصابعه كمخالب النمر..

- كيوه سارايانا!

يقولها وهو يرجع رأسه للخلف لأقصى ما يستطيع.

إنها الصرخات الثلاث التي يحتم عليه قانون (النافاراي) استعمالها لإنذار الخصم بأن القتال سيتحول من الدفاع السلبي (رانجانا) إلى الهجوم الإيجابي (سارايانا).. ومعناها - إذا لم تخني الذاكرة - بالترتيب

هو: سأبدأ (السارايانا).. احترس من (السارايانا).. إليك بـ (السارايانا)...
(تشا سارايانا).. (جوانغ سارايانا).. (كيوه سارايانا).. وقد أعذر من أنذر..!
إنه لمشهد مرعب.. مشهد الفتى المتوتر وهو يطلق قواه المقيدة من عقالها لتثب في وجه خصومه.. كأنه منجنيق شد حبله إلى نهايته ثم قطع...
وبرغم أن العشرة الكهان المحيطين به هم أساتذة في فن التفادي؛ إلا أن ضرباته أطاحت بأربعة منهم سقطوا فوق الثلج يئنون..
وكانت تدريباته تتم إما على خصوم حقيقيين من الرهبان.. أو على تمثال بالحجم الطبيعي للإنسان..، وقد حددت

على جسم هذا التمثال النقاط الأساسية للهجوم.. وكانت مقسمة إلى أربع مجموعات:

- نارفا (لونها أبيض): وتؤدي إصابتها إلى إحداث ذعر وارتباك.

- كارفا (لونها أزرق): وتؤدي إصابتها إلى فقدان الوعي.

- شورا (لونها أحمر): وتؤدي إصابتها إلى الشلل.

- كورا (لونها أسود): وتؤدي إصابتها إلى الموت.

وكانوا يعلقون التمثال ويجعلونه يتأرجح بسرعة لا تصدق... على حين كان الفتى يقف وقد لطخوا كفيه وقدميه باللون الأصفر مستخدمين طلاء لا يجف..

وكان الأخ (ميانج) يصرخ:
- شورا!
عندئذ يثب الفتى كالسهم موجهًا أربع ضربات في وقت واحد إلى النقاط الحمراء في التمثال المتحرك..
- كارفا!
فكان الفتى يوجه ضرباته إلى النقاط الزرقاء..
وبمجرد انتهاء التدريب كانوا ينزلون التمثال ويبدؤون في دراسة آثار الطلاء الأصفر التي تركتها قبضة الفتى وقدمه على الأماكن المطلوبة..
لا داعي لذكر أن النقاط التي كان الفتى يهاجمها في تدريبه الحي مع الرهبان هي

نقاط الـ (نارفا) التي لا تحدث سوى بلبلة وارتباك..
كان هذا ضروريًا لأن الفتى كان يتقدم - كالعادة - بسرعة غير عادية وكان تدريبه خطرًا لا ريب فيه لولا سيطرته الكاملة على جهازه العصبي..
وفي سره أدرك الأخ (ميانج) أنه لم ولن يدرب ظاهرة مثل الزهرة الزرقاء.. وحتى مبتدع فلسفة (النافاراي) ذاته كان سيذهل لو أنه رأى هذا الفتى.. كأنه جاء الدنيا ليعرف الناس من خلاله معني لفظة (نافاراي)...
-" سيكون لهذا الفتى" قال لنفسه "شأن خطير..".

❋ ❋ ❋

مرة أخرى جلس الفتى أمام الكاهن الأعظم يقلب - على ضوء الشموع - أوراق الـ (شوكارا) المهترئة المصفرة..

كانت هناك مئات الأساليب الغريبة والمواعظ والنصائح والنبوءات والذم في البوذية والهندوسية..

على أن شيئًا غريبًا شد انتباهه أكثر من سواه..



مرة أخرى جلس الفتى أمام الكاهن الأعظم يقلّب ـــ على ضوء الشموع ـــ أوراق الـ (شوكارا) المهترئة المصفرة ..

كانت هناك طريقة غامضة اسمها (شانكين) يزعم الكتاب أنها تنقل الجسد المادي عبر الأزمنة والمسافات، وكانت قائمة على التأمل المستمر المرهق.. وبالطبع ونظرًا لحداثة سن بطلنا فإن ما تبشر به هذه الطريقة من متعة كان جديرة بالاهتمام..

- دعك منها..

قالها الكاهن الأعظم في لا مبالاة.. وأردف:

- هي لعبة خطرة قائمة على تفكيك الجزيئات وإذابة ماديتها لتتوه في الأثير حيث لا زمن و لا مكان.. ثم تحتشد في أرض أخرى وزمن آخر.. لكنها - الطريقة

- لم تحدد كيفية اختيار الزمن والمكان.. كما أنها لم تحدد كيفية العودة من هناك..

هز الفتى رأسه في طاعة..

لكن هذه السطور ظلت محفورة في ذهنه.. وأدرك إنه سيجربها يومًا ما..

* * *

كانت مشاكل (جينغ - تشا) تزداد تعقيدًا..

فهو يتشاجر مع الجميع ولا يحترم أحدًا..

ويبدو أن يأسه من أن يصير (نافاراي) قد جعله بلا شيء يخسره.. وبدا واضحًا أن الكاهن الأعظم سيطرده من الدير بعد أيام أو ساعات..

وبدأت إشاعات تسري في الدير أنه يتردد على رهبان (الماهايانا) في القرية القريبة[3] وكان هذا خطيرًا جدًا لأن (النافاراي) - برغم أنهم يستعملون الكثير من تعاليم (بوذا) - كانوا يعتبرون (الماهايانا) خصومهم الطبيعيين.

وتلك الليلة المشؤومة كان (هن - تشو - كان) يمارس تأملاته في الغابة الثلجية البعيدة حتى الفجر..

ثم إنه عاد إلى الدير كعادته.. ومن اللحظة الأولى أدرك أن هناك شيئًا على غير ما يرام.. بالواقع لم يكن أي شيء على ما يرام...

وأدرك خطورة الموقف أكثر حين دخل الدير فوجد ثلاثة رهبان واقعين على

وجوههم وحولهم بركة من القيء وكان من بينهم الأخ (وين بياو)..
اصابه الجنون وهرع إلى الداخل..
وفي كل قاعة كانت كارثة تنتظره..
كل الرهبان موتى - أو قتلى - غارقين في القيء مما يدل على أن هناك حادث تسمم عام..، بل الأطفال أنفسهم لم ينجوا..
حتى الأخ (ميانج) - صنو روحه - لم يكن أفضل حالاً..
ماذا حدث؟..
كيف حدث؟..
متى حدث؟..
ماذا دهاكم أيها (النافاراي)؟.. كنت أحسبكم أذكي من أن تلقوا حتفكم.. لكنها

حقيقة واقعة.. أكثر من عشرين راهبًا كلهم جثث هامدة..

في جزع جرى إلى الممرات حيث الكاهن الأعظم فوجده جاثيًا على ركبتيه وقد أراح رأسه وكتفيه على (الطبلية) الصغيرة التي يتلو الصلوات عليها.. وكان القيء يلوث الأرض حوله، وثمة قدح شاي قد سقط أرضًا فتهشم..

لكنه كان يتنفس..!

بلهفة هرع فتانا إليه وجلس القرفصاء جواره، وأراح رأسه العجوز على فخذيه.. وفي عينه التمع ألف سؤال لم يكن بحاجة للنطق به..

فتح الشيخ عينيه الذابلتين بوهن.. وبدا عليه شبح الرضا إذ رأى تلميذه النجيب..

ثم همس بفحيح الأفعى:
- كـ.. كلهم ماتوا؟
- جميعًا..!
التمعت دمعة في عيني الشيخ.. وبلل شفته الضامرة بطرف لسانه:
- إذن أنت الكاهن الأخير...
كانت رائحة فمه كريهة جدًا وهو يهمس.. لكن (هن - تشو - كان) لم يكن في حال يسمح بالاشمئزاز.. ولم يسره قط أن يعلم أنه آخر الكهنة...
- ماذا حدث يا معلم؟
زاغت عينا العجوز أكثر.. وعاد يفح:
- هو.. خـ.. خطأى.. (جينغ).. (جينغ - تشا).. دس.. دس لنا.. الـ.. السم.. في.. الشاي..

- اللعين!.. أراد أن ينتقم!
- بل الأمر أخـ.. أخطر.. يريد الـ... الـ (شوكارا)..لـ.. لقد بحث.. عنـ.. عنها في كل مكـ... ان...آه!..
- ولماذا يريدها؟
- مـ.. من أجل الـ.. (ماهايانا).. لقد ذهب لـ.. يحضرهم.. كـ.. كي يبحثوا معه.. وسـ.. يصلون بعد..دقا.... ئق..
- إذن هي في التمثال بعد؟
- ن.. نعم.. إن من يجدها سيحكم الـ.. العالم..ولا أريد أن يـ.. يكون هو (جينغ - تشا).. آه!
التمعت عينا الفتى وقد أدرك خطورة الموقف.. إذن فحماية كتاب (النافاراي) هي مسئوليته لأنه - بعد ثوان - سيكون

(النافاراي) الوحيد على ظهر الأرض..، وهو يستطيع أن يتخيل الكارثة التي ستحدث لو أن مأفونًا من عينة (جينغ - تشا) وجد الكتاب..

لم يعد هناك وقت لرقة المشاعر..

لذا أراح رأس أستاذه المحتضر على الأرض وهرع إلى تمثال (بوذا) ليفك رأسه وينتزع الأوراق الثمينة ويدسها في صدره.. ثم إنه جثا جوار رأس الأستاذ ليتلقى تعليماته الأخيرة..

- هل أقاتلهم؟

- لـ.. لا.. سيكونون أكثر عددًا مـ... من قدراتك.. لـ.. لا يجب أن تج.. تجازف.. الـ.. الكتاب أهم من أن....

نعم.. نعم.. لم يحسن التعبير لكن المعنى مفهوم.. إن إنقاذ الكتاب أهم من خوض قتال لا تعرف نتائجه لمجرد إشباع غريزة الانتقام...

- إذن أهرب...
- سـ.. سيجدونك...
- وما الحل؟
- (شانكين)..!

(شانكين)؟.. نعم.. نعم.. الوسيلة التي تتحدث عن السفر عبر الزمان والمكان والتي وجداها في الكتاب منذ أيام..، لكنها خطرة كما قال المعلم.. ولكن...

- لـ.. لا.. مـ.. مجال للاختيار.. إذ.. اذهب للـ.. للحجرة الـ.. المجاورة.. وأبدأ.. الـ... التأمل...

- وأنت يا معلم؟
- لـ.. لقد.. انتـ.. انتهى أمري!
حاول (هن - تشو - كان) كبح جماح دموعه، ومد يده لصدره فأخرج الأوراق البالية.. وانتزع منها الورقة التي تتحدث عن طريقة (شانكين) ثم أعاد الأوراق لصدره..

وفي الحجرة المجاورة شرع يقرأ.. كان ضوء الفجر الوردي يتسرب من النافذة المنحوتة في الصخر، وآلام اللحظات الماضية التي مرت كحلم كابوسي غريب لم يتخيله، وزلزلة عالمه فجأة ورحيل أصدقائه الوحيدين والمسئولية الثقيلة الملقاة فوق كتفيه...

كل هذا كان يحتشد في عقله وقلبه لكنه أزاحه بعيدًا وأخذ شهيقًا عميقًا وبدأ يحلم..

صوت رجال.. صوت باب يتهشم..

لقد عادوا وهو لم يحرز نجاحًا يذكر..

صوت تحطيم.. تمثال (بوذا) بالذات.. لكنهم لن يجدوا ما يريدون.. ركز أكثر.. امتزج بالكون.. حاول ألا توجد..

أنت تدنو من (النرفانا) الكاملة.. حالة الانطفاء النهائية..

لا تدع صوت السيوف يخرجك من تركيزك..

لا تدع صوت أنين الكاهن الأعظم - وهم يعذبونه غير مبالين بأنه رجل ميت - لا تدعه يشتت تيار أفكارك..

انبذ مخاوفك الخاصة..

هأنتذا تذوب في الأبدية..
هأنتذا تفقد ماديتك وتتحول إلى ذرات أثيرية..
إنهم يقتربون من الحجرة..
لكنك - أنت أيضًا - قد اقتربت جدًا..
جدًا... جدًا...
و.......
لقد نجحت....

* * *

٤ - أرض أخرى.. زمن آخر..

أظن القارئ يتساءل الآن: أين ذهب هذا السخيف (رفعت إسماعيل) بسخريته المقيتة وصلعته ورائحة سجائره؟..

هذا بالطبع - وإن كنت لا أرجوه - ما لم يعلن إحساسه بالرضا والاستمتاع لأنه يقرأ أخيرًا قصة محترمة!..

ولكن صبرًا يا رفاق...

لا تفرحوا قبل الأوان.. فأنا آت لا محالة.. وستعرفون السبب بعد بضع صفحات...

* * *

الظلام والحرارة والرائحة الخانقة..

لبضع ثوان ملأت المفردات الثلاثة حواسه فلم يستطع أن يفهم أين هو.. لكنه كان واثقًا من شيء واحد..

أن القاعة التي كان يتأمل فيها منذ ثوان قد اختفت..

بدأت عيناه تعتادان الظلام.. فاستطاع أن يرى أجولة من الخيش مكومة فوق بعضها، وحيوانات صغيرة مكسوة بالفراء تجري هنا وهناك بسرعة لا تصدق (لم تكن الفئران من الحيوانات المألوفة في الدير)..

أدرك دون جهد أنه في مخزن ما...

ومن الرائحة عرف أنه مخزن لنوع من الحبوب..
لكن أين؟.. وفي أي زمن؟..
سمع باب المخزن ينفتح محدثًا صريرًا..، واندفعت لعينيه حزمة أليمة من ضوء الشمس كأنها دستة من الإبر تنغرس في مقلتيه..
وبين الإبر الأليمة رأى خيالًا فارعًا يدخل من الباب..
كانت فتاة شابة..
وبرغم الألم الذي أحدثه الضوء الساطع أدرك أن شكلها غريب جدًا.. فهي سمراء اللون عيناها واسعتان على نقيض فتيات وطنه.. وكانت كبيرة العظام ضخمة القدمين كما لم ير فتاة من قبل..

لكنها - برغم غرابة مظهرها - كانت مليحة..

وفي نشاط وخفة - ودون أن تلاحظ وجوده - ألقت على الأرض بمقص كبير وبعض الحبال، ثم انسلت مغادرة المكان دون أن تغلق الباب خلفها..

تحرك الفتى ببطء شديد واختبأ خلف كومة أجولة، وشرع يدقق البصر في نهم إلى العالم الخارجي وراء الباب..

كان هناك رجال يتحركون هنا وهناك.. سمر البشرة يرتدون ثيابًا طويلة تصل للقدمين، وكانوا يضعون على رءوسهم أغطية رأس غريبة.. وكان بعضهم منهمكًا بحمل الأجولة متجردًا من ثيابه الطويلة

كاشفًا عن سروال أبيض متسع وصدرية مليئة بالأزرار..

ولم يكن أحدهم يعقص شعره خلف ظهره.. أو يرتدي قرطًا..

أخذ عقل (هن - تشو – كان) يعمل بأسرع ما يمكن..

لن يلبث أن يكتشف أمره.. وعندئذ.. وحتى لا يبدو شاذًا.. عليه أن يبدو مثل هؤلاء أو على الأقل قريبًا منهم...

في تؤدة التقط المقص.. وحركه إلى مؤخر رأسه وجز خصلة الشعر الناعم المتدلية على ظهره..

ثم إنه وجد ثوبًا من هذه الأثواب الطويلة وغطاء رأس في أحد أركان المخزن.. كان

الثوب متسخًا قذرًا تفوح منه رائحة العرق لكن الوقت لم يكن مناسبًا لقواعد الصحة..

لهذا نزع ثيابه وارتدى الثوب الجديد.. وثبت غطاء الرأس الصوفي على رأسه وتمنى لو رأى وجهه في لجة ماء..

جاء الجزء الهام من الموضوع..

الآن ينبش بأظفاره الأرض الترابية محدثًا حفرة صغيرة.. ثم يغلف كتابه الثمين - الـ (شوكارا) - بثيابه التي خلعها..، وفي حذر يدفن الحزمة الثمينة في الحفرة..

ويهيل التراب وقد سره أن الجفاف العام المخيم على التربة يدل على أن الرطوبة لن تفسد الكتاب..



ثم يغلف كتابه الثمين ــ الـ (شوكارا) ــ بثيابه التى خلعها ..،
وفى حذر يدفن الحزمة الثمينة فى الحفرة ..

وبالطبع لم ينس أن يدفن خصلة الشعر والقرط مع الثياب وما بداخلها..
ثم إنه مسح بالغبار وجهه....
سيبدو قذرًا كخنزير.. وهو المطلوب لأن وجهه المتسخ لن يدع الكثيرين ينتبهون لعينيه الضيقتين ولون بشرته الأصفر... على الأقل في الوقت الحالي..
لم يكن يتفادى شيئًا بعينه..
لكنه كان يعلم أن هناك خطرًا لا يدري كنهه..
بعد دقائق ظهر (سيلويت) الفتاة عائدة إلى المخزن مندفعة بنفس النشاط والحيوية..
وفي هذه المرة كان محتمًا أن تراه..

التقت العينان.. ولمح عينيها تتسعان في هلع.. وشفتيها تهمسان بلفظة ما.. ثم أنها ضربت بكفها المفتوح صدرها (ولم يكن قد رأى هذا الأسلوب في إظهار الذعر من قبل..)..

- آبا..**!**..**!** آبا..**!**

كذا صرخت وهي تجرى هاربة من المخزن..

أما (هن - تشو - كان) فظل مسمرًا في مكانه يشعر بالحيرة، بالإضافة إلى غرابة اللغة التي استعملتها الفتاة.. واللفظة التي قالتها يملؤها حرف غير مألوف لأذنيه (حرف الحاء في عبارة: بسم الله الرحمن الرحيم).. فما هو هذا المكان؟

ومن هم هؤلاء القوم..؟

بعد ثوان امتلأ المخزن بالفضوليين والمتحمسين والمتحفزين..

أما (آبا) - أو الشخص الذي نادته الفتاة - فكان عجوزًا كث الشارب أشيبه يربط رأسه بمنديل ويرتدي معطفًا أصفر حال لونه منذ دهر.. وكان يمسك في يده بعصا طويلة معدنية تشابه تلك المدافع التي كان الصينيون يستعملونها في حروبهم.

في تؤدة وحذر اقترب من الفتى وسأله عن شيء ما..

كان (هن -تشو – كان) قد قرر التزام الصمت والحذر.. سيتظاهر بالخرس والعته فلا يصير بحاجة إلى الرد..، اندمج في الدور وتدلى لسانه خارج فمه مبعثرًا اللعاب على ذقنه... وبعينين زائغتين شرع

يتابع كلمات الرجل التي لم يكن في حاجة للتظاهر بأنه لا يفهمها لأنه - بالفعل - لا يفهمها..

كان الرجل يرمقه في شك..

ثم بدأ يتبادل حديثًا غاضبًا مع الرجال وهم يقنعونه بشيء ما..

أدرك الكاهن الأخير أن عادة هؤلاء القوم هي الصخب والكلام الكثير.. وأن الهمس عندهم هو نوع من الصراخ..

لم يكونوا سمرًا كالزنوج أو بيضًا كالتجار الإيطاليين الذين رآهم ذات مرة.. ولا هم صفر كأبناء جلدته..

فمن هم إذن؟..

تصايح القوم بشيء ما فبرزت من صفوفهم امرأة عجوز تحمل خبزًا ومادة

صفراء اللون شديدة الملوحة يبدو أنها نوع من الخبز.. وفي يدها الأخرى وعاء من الفخار تكاثف الماء على سطحه.. وقدمته له..

كان (هن - تشو – كان) معتادًا الجوع أيامًا طويلة، لكنه أدرك أن الحكمة تقضي بعدم الرفض..

شرع يلتهم الطعام - غريب المذاق - والجميع يراقبونه في فضول..

كانت أذنه الحادة تعمل كأذن القط.. ولقد أدرك أن اللفظة التي يكررونها لكل وافد جديد على المشهد.. هذه اللفظة: (أهبل.. أهبل) لا تعني سوى العته أو الجنون..

كانت هناك لفظة أخرى تتكرر بإصرار وبدا له أنها مقاربة في المعنى.. هي (بتاع

ربنا)..، وإن أثار دهشته حرف (العين) الذي لم يعتد سماعه قط..

وفي رضا أدرك أنه قد تلقى تأشيرة الدخول إلى عالمهم، وكأنه يكافئ نفسه رفع الوعاء الفخاري إلى فمه وجرع الماء حتى ارتوى..

❋ ❋ ❋

دعونا الآن نفارق وجهة نظر كاهننا لنتخذ وجهة نظر أكثر شمولية وإلمامًا بالتفاصيل، لأنه لن يفيدنا بشيء أن نجهل ما يجهله هو على طول الخط..

أظن القارئ قد استنتج أن الكاهن قد قذف إلى قرية مصرية.. أي أنه قد ابتعد مئات الأميال عن وطنه الاصلي..

دعك من أنه كان يعيش أصلًا في القرن السادس عشر.. وهو اليوم في عام ١٩٦٧.. أي أنه ابتعد أربعة قرون عن زمنه الأصلي..

ويمكننا القول إن خدعته قد انطلت على الفلاحين.. فهم لا يملكون خبرة طبية لكنهم - حتمًا - رأوا أناسًا مصابين بهذا النوع من التخلف العقلي الذي يجعل العينين ضيقتين والشعر ناعمًا..، هذا العيب الخلقي الذي يسميه الأطباء بـ (العته المنغولي)[4]..

لهذا تقبلوا سريعًا فكرة العثور على شاب شريد متخلف عقليًا له ملامح صينية.. كان هناك في القرية المجاورة شاب مثله.. وكان أهل القرية يسمونه (الشيخ عطوة).. ويتبركون به..

وهي عادة ريفية قديمة.. عادة اعتبار المتخلفين عقليًا في عداد الأولياء الذين شفت نفوسهم إلى حد الاتصال بسر الكون..

لهذا لم يكن صعبًا عليهم أن يتقبلوا هذا الشريد البائس بينهم لا يهم من أين أتى ولا من هو..

المهم انه بحاجة إليهم...

أما عن المدعو (آبا) - أو ما ظنه الكاهن - فلم يكن سوى (محمد السقا) خفير شونة الغلال.. وبالطبع لم يكن (آبا) سوى نداء ابنته له حين رأت الكاهن.. وقد ظن هذا الأخير أن (آبا) هو اسم الرجل..!..

كانت القرية مفعمة بعمال الترحيلة في تلك الآونة، لهذا لم يكن وجود وجوه غريبة

أمرًا يثير الريبة..
وكانت ابنة الخفير - واسمها (سعدية) - تتواثب هنا وهناك تعين الرجال على ربط غرارات الحبوب وتعدها..، وكان ابنه الشاب (إبراهيم) منهمكًا في معاونة العمال مع أبيه..
ومن اللحظة الأولى أدرك الأب أن الوافد الجديد سيكون مسئوليته، ولربما ابنًا ثانيًا له..
وقد أدرك - بفطنة الفلاح التي لا تخطئ - أن الفتى ليس أصم.. فعيناه تتابعان الأصوات.. وجهه يتلون حسب حدتها، لكن من الواضح أنه لا يفقه حرفًا...
وجاء المساء..
العباءة الزرقاء الرطيبة تفترش الكون..

لكن الفتى ظل جالسًا حيث هو يرمق الأفق في نهم.. فحتى النجوم تبدو مختلفة ها هنا..

من الغريب أنه ليلة أمس - أحقًا هو أمس؟ - كان يحيا في عالم (النافاراي) يمارس تدريبات (السارايانا) فوق الثلوج.. واليوم ماذا بقي من كل هذا؟.. هل كانت حياته السابقة حلمًا كلها؟.. أم أنه يحلم الآن ولن يلبث الأخ (ميانج) أن يوقظه؟..

حقيقة واحدة كان يدركها..

لو أنه ظل ها هنا فترة أطول فلسوف يذوي ويموت.. نعم.. يموت.. مثله مثل الببغاء التي يحبسونها في قفص بعيدًا عن توءم روحها..

شعر بخطا تقترب منه فأجفل..

كان القادم هو الخفير يحمل له شيئًا ملفوفًا في رغيف خبز من الواضح أنه يؤكل، وقال له شيئًا ما..

ثم إنه أشار له إلى المخزن.. وقال شيئًا آخر..

قصة بسيطة لا تحتمل سوى تفسير واحد.. تناول عشاءك ونم في المخزن.. وغدًا يوم آخر..

التهم الكاهن الأخير بعض لقيمات متجاهلًا نظرات الرجل الفضولية له..، كان الليل هو ميعاد تمارين (النافاراي) في وطنه.. لكنه لم يعد حرًا كي يزاول عاداته..

الأدهى هو أنه فقد القدرة على النوم ليلًا.. اختل إيقاعه الحيوي تمامًا وغدت ساعات

النهار هي ساعات نومه، وهذا معناه أنه سيقضي ساعات تعسة طويلة من الأرق في ظلام المخزن..

كان المخزن حارًا.. حارًا أكثر من طاقة تحمل هذا البائس القادم من أرض الثلوج..

وكان قلبه مثقلًا بالهموم..

لذلك - حين نام أخيرًا - كان الملل والقنوط هما اللذان غشيا وعيه وليس النعاس..

وغدًا يوم آخر..

* * *

٥ - مخالب النمر..

"كالنمر الذي يفضل النوم في الشمس فلا يخرج مخالبه إلا لحظة الخطر الحقيقي..".

* * *

قديمًا كان للفتى اسم هو (هن - تشو - كان) اختاره له أبوه..، ثم كان له اسم آخر هو (الزهرة الزرقاء) اختاره له الكاهن الأعظم..، أما اليوم فثمة اسم ثالث له رنين غريب اختاره له (آبا)... هذا الاسم هو (الأخرس)..

لم يكن يفهم معنى الكلمة.. ولا هو بالقادر على نطقها لو أراد..
لكنه أدرك أنها تتعلق -بشكل ما - بصمته المتعمد المستمر...

* * *

كانت الحياة تتحرك حاملة الفتى في ركابها..
في الصباح كان يعاون العمال في حمل الأجولة وعدها..، وفي الليل كان يتكوم كالهر التعيس في أحد أركان المخزن المظلم راضيًا - على الأقل - بأنه يحرس كتاب (النافاراي) الثمين، ولم يكن يتقاضى أجرًا - وما كان يهمه أن يتقاضى - سوى طعامه.. الوجبات الثلاث تدور كلها حول

الخبز والجبن والزبد مع بعض الخضر المطهوة في مناسبات عشوائية، أما قطعة اللحم التي كان يجدها أحيانًا وسط الخضر فكان يلقيها للقطط..

كان - ككل (النافاراي) - عزوفًا عن اللحوم والبيض.. لكنه كان يرحب بمنتجات الألبان..

وفي الليل - وحين يتأكد من أن العيون لا تراه - كان يمارس تدريبات (النافاراي) الانفرادية في المخزن، وحيدًا يقاتل خصومًا وهميين ويتفادى ضربات لا وجود لها..، وهو شيء قريب مما يسميه لاعبو الـ (كونغ فو) بالـ (كاتا)...

وكان أعقد تمرين استطاع أن يبتكره هو الإمساك بالفئران!.. نعم!.. أنتم لم تخطئوا

قراءة الكلمة!..

إن سرعة الفئران خارقة وانعكاساتها لا تصدق..، وكان عددها - لحسن الحظ - لا بأس به في المخزن فكان الكاهن الأخير يحاول محاكاة انعكاساتها بنفس السرعة والتوتر..

تخيل منظره إذ يقف متصلبًا كاتمًا أنفاسه متوترًا كالقوس.. ثم.. بدون استعداد ولا إنذار.. يقفز كالقط المسعور إلى ركن المكان وقبل أن ترى أنت ذراعه يكون قد التقط فأرًا مذعورًا بائسًا من ذيله.. ورفعه لأعلى..!

ويحاول الحيوان التملص.. ويثني جذعه محاولًا عض اليد الحديدية التي أمسكت به لا يدري متى ولا كيف..

- لا تخف يا أخي.. إن (النافاراي) لا يؤذي كائنًا يتحرك...

ثم يطلق سراحه.. فيفر الفأر غير مصدق لا يلوى على شيء..

إنسان أسرع من الفأر..!

هل تصدق هذا؟..

الواقع أن هذا التمرين - وليد البيئة - أتى بثمار غير متوقعة..

كان الفتى يتفوق على نفسه يومًا بعد يوم..، إلى الحد الذي كان سيصيب الأخ (ميانج) نفسه بالذهول لو رآه..

❋ ❋ ❋

كان الخفير وامرأته يعاملانه بشيء من الشفقة المغلفة بفظاظة من لم تعلمه الحياة

الفقيرة أصول الرقة..، لكنه كان يدرك أنهما يعطيانه ذروة الحنان الذي في جعبتهما.. وهذا يكفيه..

وكان ذكاؤه الخارق قد مكنه من فهم العديد من الألفاظ التي يستعملانها وكان يبدى استجابته لكل هذا، لكنه ادخر لنفسه شيئًا من الفهم لم يبده على السطح مدفوعًا في ذلك بحذر غريزي كحذر القط النمري..

يقول له الخفير مثلًا:

- هات جوالًا واربطه..

فكان الفتى يحضر جوالًا.. ثم يتجاهل الجزء الخاص بالربط مدعيًا الغباء أو البله برغم أنه أدرك - منذ زمن بعيد - معنى

احتشاد حروف الراء والباء والطاء في لفظة واحدة..

وهكذا ينسكب محتوى الجوال على الأرض، فيصيح الرجل محنقًا:

- أيها الأبله!.. اربط.. ألا تفهم معنى أ.. ر.. ب.. ط؟!

ويكون الفتى قد فهم أيضًا من احتشاد حروف الباء واللام والهاء أن الرجل يتهمه بالحماقة، وقد أدرك - دون جهد - أن هناك مزية غريبة لهذه اللغة هي أن حروفًا معينة تؤدي المعنى متى احتشدت،.، فكلمة (أبله) و (أهبل) و (بلاهة) و (بله) و (هبل) كلها تعني الحماقة..

وهو ليس أحمق.. لكنه يرحب تمامًا بهذا النعت..

هذا عن الخفير وامرأته..

أما عن ابنهما (إبراهيم) فقد كان حديث السن، وبحكم حداثة سنه كان عاجزًا تمامًا عن معاملته برقة، وكان يتخذ منه مادة للمزاح مع رفاقه - وهم مجموعة من الأوغاد شديدي السماجة - ولربما عرقل سيره مادّا ساقه أمامه، ولربما صفعه على قفاه، ولربما انتزع الطاقية من على رأسه ورماها بعيدًا...

كان الكاهن يمقته بجنون ويتمنى تهشيم رأسه.. لكن واجب الحذر كان يملي عليه أن يصبر.. بل إنه لم يكن يملك حتى حق تفادي الضربات المهينة.. لأن سرعته في التفادي ستثير ذهول الفتى وأصحابه، الذين

لن يقتضي تحويلهم إلى مقعدين سوى ضربتين منه..
كانوا ذبابًا..
وهو لم يقتل ذبابة في حياته..
بعد هذا يجيء دور (سعدية)..
هذا الشباب النضر الرشيق، والنظرة الحانية المرهفة التي تقطر بالأنوثة من عينها الكحيلتين الواسعتين..
كانت معجبة به.. وتعني بأمره..
أدرك ذلك دون غرور.. بل في شيء من الدهشة لأن مظهره ووضعه المزري هما أبعد ما يكونان عن اجتذاب إعجاب فتاة..
والمصيبة هي أنه كان معجبًا بها هو الآخر... وكان على استعداد تام لأن يقع -

كالذبابة - في خيوط هواها العنكبوتية.. لولا....

❋ ❋ ❋

"لا تروهن يا (أناندا).. لا تحدثوهن يا (أناندا).. وإذا تحدثت إليك واحدة منهن فلا تكترث لما تقول يا (أناندا)..!".

❋ ❋ ❋

"لا يحق للـ (نافاراي) أن يتزوج حتى لا تسلبه ذريته إخلاصه وحكمته.. فهل حقًا تفهم مغبة ذلك؟".

❋ ❋ ❋

نعم.. يفهم مغبة ذلك...

وستنظر له الفتاة تلك النظرة التي تخفي آلاف الكلمات فيها، وستحضر له كيزان الذرة المشوية خلف المخزن حين يجلس متأملًا الأفق.. وتقدم له كوزًا وتبدأ في التقاط الحبوب من كوزها.. وتقذفها برشاقة إلى فمها.. ثم تسأله متربعة على القش جواره..



وستحضر له كيزان الذرة المشوية خلف المخزن حين يجلس
متأملاً الأفق ..

- لماذا لا تأكل؟..

الكاف واللام ولهجة التساؤل.. إنها تسأله عن سر عدم أكله، لا داعي إذن لمقاومة حبات الذرة الساخنة.. يملأ فمه بها ويلوكها في صمت ناسيًا أن يمحو عمق المعاناة من على وجهه..

لحظات كهذه كانت لا تفوت الفتاة، عندئذ كانت - بغريزة الأنثى - تشعر أن هذا الفتى ليس معتوهًا.. بل هو يتظاهر بذلك..

إنها تثرثر.. تثرثر.. تثرثر... وحتى في ذلك اليوم الذي جرح ذراعه فيه، وقادته إلى ذلك المبنى الغريب كانت تثرثر، وكان هناك رجل يرتدي معطفًا أبيض ضمد له ذلك الذراع، أما هي فأخذت تشير إلى

غرفة ما في الطابق العلوي وتحدثه عن (إبراهيم) أخيها.. حكاية طويلة لم يفهم مغزاها..

يبدو أن (إبراهيم) هذا كان مريضًا وأحضروه هنا يوما ما.

لم يكن كل هذا ذا أهمية..

بل - والأسوأ - كان مملًا ومبتذلًا إلى حد لا يوصف..

هل سينتهي الأمر بأفضل كهنة (النافاراي) إلى أن يعيش ويموت مجرد عبيط قرية آخر؟!

* * *

في تلك الليلة كان جالسًا في المخزن يتأمل حين سمع صرير الباب.. تجمد الدم

في عروقه.. من هو القادم في هذه الساعة؟..
حتما هو ليس الخفير لأنه كف عن تفقد المخزن من زمن مطمئنًا لوجود الفتى..، وبالطبع ليست (سعدية) لأنها ليست من هذا الطراز.. ولا هو (إبراهيم) لأنه لم يفعلها قط..
إذن هو....
انفتح الباب اكثر.. وسمع صوت همس...
ثم إنه رأى عددًا من الرجال الملثمين ينسلون من الباب وهم يلهثون انفعالًا..
لقد توقع ما هو أسوأ من حفنة لصوص غلال، ولم يكن بيده ما يفعله سوى أن يقبع في مكانه يراقب ما يحدث..، فلا الغلال غلاله ولا هو سيد الموقف من فليأمل فقط

ألا يراه هؤلاء الأوغاد.. ومن يدري؟.. قد تتاح له فرصة الاستعانة بأهل القرية فيما بعد..

كانوا يحملون مصابيح غريبة تضئ بلا نار.. وكانوا يتفقدون بها أرجاء المكان..، ثم.... أغشى الضوء عينيه، وعرف أنهم رأوه.. وعرف كذلك أن رؤيته أثارت رعبهم أكثر بمراحل مما أثاروا هم رعبه..

وسمعهم يهمسون بصوت مسموع..

ثم رأى أحدهم يهرع نحوه في جنون ملوحًا بنصل لامع في يده.. وسمعه يردد عبارة واحدة:

- ولا كلمة!!

الكاف واللام والميم.. واضح طبعًا أنه يأمره بالصمت وإلا ذبحوه.. ثم رأى

أحدهم يضع يده على ذراع الأول مهدئًا من روعه:

- سيبه.. ده بتاع ربنا!

آه!.. إذن فهذا الرجل يعرفه ويعرف بلاهته المزعومة، ولهذا يردد عبارة (بتاع ربنا) المرادفة للفظة (أبله)...، إن الرجل ملثم لكن عينيه قد حفرتا للأبد في ذاكرة الكاهن.. وسيعرفه يومًا ما..

و كان الرجل الأول العدواني ما يزال يرمقه في شك... حين عاد الرجال يواصلون عملهم في حمل الأجولة خارج المخزن بحذر وسرعة، وقد آثروا ترك فتانا في سلام...

إلى هنا كان الموقف مبشرًا بالخير..

إلى اللحظة التي فوجي فيها الجميع بـ (سعدية) تقتحم المكان...، كانت الحمقاء - كما هو واضح - قد سمعت جلبة من المخزن، وبمنتهى الغباء نهضت وحيدة لترى ما هنالك.. أو لعلها توقعت أن الفتى هناك فلم تتوقع شرًا..

وقبل أن تفهم شيئًا وجدت نفسها بين المقتحمين، وفي ثوان وجدت نفسها مكممة الفم وقد لوي ذراعها خلف ظهرها..!

حاولت المقاومة ودارت عيناها سريعًا لتقعا على الأخرس جالسًا في تراخ - كالجوال الملقى - على الأرض..

عندئذ فهمت القصة سريعًا..

دارت مناقشة سريعة بين الرجال..، فهم الكاهن فحواها دون جهد.. فهؤلاء الرجال

التعساء قد تورطوا في شاهدين على جريمة السرقة، ولئن كان أحدهما معتوهًا فالآخر عاقل ويتمتع بلسان طلق.. والمصيبة أن لثام أحد المقتحمين قد انزلق من على وجهه مما جعل الفتاة ترى وجهه كاملًا في ضوء الكشافات.. ومن الواضح أنها عرفته... وأنها ستتسبب في خراب بيته عند أول فرصة..

لم يكن الكاهن ليلومهم على قرارهم الذي هو القرار الوحيد الممكن.. ولو كان مكانهم لوجد نفسه مضطرًا إلى قتل الفتاة**!**، نعم.. لا حل سوى هذا.. ولو لم يكن في حبائلهم ولو لم يكونوا أوغادًا ولصوصًا لتمنى لهم التوفيق في قرارهم المصائب هذا..**!**

لكنه مضطر أن يتصدى لهم..

❋ ❋ ❋

"لو أن لصًا هاجم دارك فلن يمنعه (التفادي) من سرقتك.. لن يمنعه من إيذاء أمك العجوز.. لن يمنعه من تمزيق كتب صلواتك وسكب زيت الموقد..".

❋ ❋ ❋

كانوا منهمكين في النقاش حول مصير الفتاة حين سمعوا - ورأوا - أغرب شيء تصوروه..

حركوا مصابيحهم تجاه الفتى الابله ليروا ما يحدث هنالك..

كان يقف متحفزًا مباعدًا ساقيه مثبتًا قدميه على الأرض، ثم إنه رفع عقيرته بصيحة لم يعرفوا لها معنى:

- تشا سارايانا!!

ثم إنه مد ذراعيه المتصلبتين على أقصى امتداد لهما.. وصرخ:

- جوانغ سارايانا!!

وأرجع رأسه إلى الخلف ونفش صدره:

- كيو سارايانا!!

تبادلوا النظرات الحائرة.. ماذا دها هذا الأبله؟.. وأية لغة هذه؟ ألم يسمعوا أنه أخرس كالأسماك؟.. على أنهم فهموا شيئًا واحدًا..

أن هذا الفتى يحتشد لموقف عدواني، وبعبارة أخرى يريد ضربهم وقد غدا تأديبه

حقًا عليهم..
لم يفهم هؤلاء الحمقى - أن الفتى قد قام بواجبه كاملًا، وأنذرهم بما لا يترك لهم عذرًا.. إنه سيبدأ الـ (سارايانا) وحذار من الـ (سارايانا) ثم إليكم بالـ (سارايانا) يا من لم تقرءوا الفصل الثالث..!
إن أحدًا لا يذكر ما حدث..
ثم إن الظلام ساد المكان إثر سقوط المصابيح من أيدي حامليها، لكن هذا الشيطان كان يرى في الظلام كالوطاويط..
كأن عشرة أقدام تطايرت في وجوه اللصوص في لحظة واحدة، ثم ارتطمت عشر قبضات في بطونهم..
لم يعد الفتى يرى رجالًا.. بل مئات من نقاط (الكارفا) الزرقاء - التي تسبب

إصابتها فقدان الوعي - تلتمع في الظلام.. وكان عليه أن يصيبها جميعًا حتى لا يلومه الأخ (ميانج)...

نصل سكين هوى نحوه بسرعة الصوت، لكنه كان يملك سرعة الضوء.. فتمرغ أرضًا ثم رفع مشط قدمه ليركل حامل السكين في أسفل بطنه..، وسمعه يئن كالكلب الجريح.. وسمع - بأذن الخيال - الأخ (ميانج) يلومه:

- ليس الـ (شورا) أيتها الزهرة الزرقاء..!.. ليس الـ (شورا)!..

إنك تسببت في إصابته بالشلل وأنت لم ترد سوى إفقاده وعيه!

- اغفر لي أيها الأخ (ميانج)!

كان أحدهم يحاول الفرار...

من ثم وثب الكاهن الأخير على ذراعيه.. ودار في الهواء ليسقط أمام الرجل.. قال ذلك الأخير شيئًا ما.. ثم تلقى لطمة على جذور عنقه جعلته يهوي أرضًا كبالون مثقوب..

أحد المتحمسين ينقض عليه بفأس وجدها على الأرض..

تنحى الكاهن الأخير جانبًا تاركًا الرجل يندفع كالقطار المجنون في طريقه، ثم وضع ساقه في طريقه فهوي أرضًا..، وبسقوطه كشف عن فقراته العصعصية أكثر نقاط الـ (كارفا) ثراء ووفرة..، وهكذا يكفي سيف يد واحد على أية نقطة كي يجعله يغيب في نعاس لذيذ....

وهكذا انتهت المعركة...

لم تستغرق سوى ثلاث دقائق، لكنها خلفت فوضى لا توصف.. وجثث عشرة لصوص لم يصدقوا بعد أن ما حدث حقيقي...

كانت (سعدية) واقفة في موضعها بعد أن أطلق سجانها سراحها.. ليشارك في المجزرة وينال نصيبه منها...

لم تبدل وقفتها.. ولم تأت بحركة واحدة من بداية المعركة حتى نهايتها.. فقد ألجمها الذهول..

وكان صدرها يعلو ويهبط انفعالًا.. أما الفتى فقد وقف متصلبًا يرمق ضحاياه بضع ثوان..

ثم استرخى قليلًا.. وهتف بصوت عال:

- سوان هاتشاه (سارايانا)!

أي: لقد أنذرتكم أنني سأستعمل السارايانا، وفي العبارة التي تحتم تقاليد (النافاراي) عليه أن يقولها في نهاية القتال..، برغم أنه - في حالته هذه - لم يكن هناك مستمعون على الاطلاق..!

وفي تؤدة سار نحو الفتاة المتصلبة..، وربت على كتفها برقة.. وللمرة الأولى حاول أن ينطق عبارته العربية بفصاحة يحسد عليها:

- هم.. سيىء.. هم.. سيىء.. أنا أضرب سيئ..!

لم تكن هذه هي ذروة البلاغة في اللغة العربية.. لكن العبارة كانت مفهومة وواضحة.. لقد ضربهم لأنهم أشرار.. وعبارته الثانية كانت واضحة بالمثل:

- أنت.. سر.. أنت.. سر..

لم تجب الفتاة.. فقط رفعت عينيها إلى وجهه واتسعتا وارتجفت شفتاها...وفي حدة همست متسائلة:

- من انت؟!

❋ ❋ ❋

٦ - افعل شيئًا يا دكتور!

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق.. عندئذ يبدأ فجر (النافاراي)..

* * *

لم تنتظر الفتاة لتفهم أكثر..

بادرت بالفرار إلى الدار حيث يغط أهلها في نومهم، ومئات التساؤلات تتصارع في ذهنها..

على حين وقف (الأخرس) وحيدًا في المخزن يتأمل - دون فخر - حصيلة عمله

الباهر ملقاة على الأرض.. مهشمة الأطراف.. تئن..

كان يعرف أن اللصوص سيلملمون جراحهم ويرحلون، وسيصمتون تمامًا فلن يجرؤ أحدهم على إعلان ما حدث.. حتى التعس الذي أصيب بالشلل سيزعم أنه أصيب في أثناء عمله في الحقل.. ولن يتكلم أكثر..

لا مشكلة من هؤلاء..

المشكلة الحقيقية هي الفتاة الثرثارة التي لن تصمت دقيقة واحدة بعد هذه اللحظة.. وستسرد ما حدث على أبيها وأمها وصديقاتها وجيرانها.. وستحكيه للأبقار والماعز والأشجار العجوز..

عندئذ.. كيف يفسر..؟.. وكيف يشرح؟..

لقد كان مضطرًا إلى ما فعل.. لكن هذا الذي حدث قد أفسد مستقبله في هذه القرية للأبد.. وعليه الآن أن يجد قرية أخرى ويلفق قصة جديدة..

سار في تثاقل إلى الليل الصامت خارج المسكن.. وشرع يتأمل النجوم التي - كعادتها - كانت مختلفة وسمجة وأقل ودًا من نجوم وطنه..

- (نافاراي)..!

كذا همس وهو يوشك على البكاء...

- أنا بحاجة إليكم...

* * *

لم تنم (سعدية) في تلك الليلة..

قضت الوقت تتأمل السقف المدعم بالجذوع الخشبية، وتسترجع ذلك المشهد الدرامي الذي رأته منذ ساعات..

لم تصدق حتى هذه اللحظة مشهد قضاء هذا الفتى الناحل المهزول على عشرة لصوص.. عشرة فتوات إذا صح التعبير..

إن تفكيرها الذي كف عن النمو منذ رسبت في المدرسة الإعدادية لم يجد سوى تفسير واحد جاهز لكل ما رأته..

إن هذا الفتى هو.... بسم الله الرحمن الرحيم....

نعم.. لا تبرير سوى ذلك يفسر العثور عليه في المخزن فجأة.. وقضاءه على أولئك الأوغاد بطريقة قتال لم تر مثلها قط..، والعينين الضيقتين العجيبتين.. هي

تعرف أن الجان في قصص الفلاحين تكون عيونهم مشقوقة بالطول.. لكن هل هناك ما يمنع أن يوجد جني شقت عيناه بالعرض؟!..

دعك من اللغة (العفاريتي) التي استخدمها قبل ضرب الرجال.. لسوء الحظ تلاشي أي إعجاب من روحها ليحل مكانه الهلع.. الهلع من هذا الشيء الذي يغفو على بعد أمتار من مضجع أسرتها..

ماذا تفعل؟..

لن تجرؤ على إخبار ذويها فلن يصدقوها.. وإن فعلوا فمن يضمن لها ألا يفعل بهم هذا الجني ما فعله باللصوص؟..

أفكار عديدة وهواجس شتي تصارعت في ذهنها حتى الصباح.. إلا أنها - مع شعاع

الفجر الأول - كانت قد أزمعت أمرًا..

* * *

نسيت في غمار الأحداث أن أذكر لكم اسم هذه التي وقع عليها حظ الكاهن الأخير دون كل قرى الأرض..

اسمها هو.. (كفر بدر)..!!

هذا بالطبع.. إذا ما كنتم تذكرون الاسم.. ألا يذكركم اسم الفتى (إبراهيم السقا) بشيء ما؟.. إنه المراهق الذي أنقذته من براثن النداهة.. وتجارب د. (عاصم) المخبولة..، وبالطبع هو شقيق (سعدية)..

أسمع بعضكم يغمغمون أن المسألة (واسعة شوية)، فلهم أقول إن قراءتكم ما أكتب هي معاهدة ضمنية على أن تصدقوا

ما تقرؤون وأن أصدق أنا فيما أكتب..، من غير العدل أن تصدقوني حين أحكي عن صراعي مع (العساس) أو وحش (لوخ نس).. ثم تأبون تصديقي حين أقول إن الصدفة جعلت الكاهن الأخير يظهر في قريتي...

لا خداع في الأمر..

لهذا كفوا عن إهانتي بترديد أنني مجرد نصاب آخر...

❋ ❋ ❋

كانت الفتاة تذكر جيدًا دوري في إنقاذ أخيها من النداهة.. كما سمعت شيئًا عن هوايتي السخيفة في جمع الأشباح..، من ثم

قررت في ذهنها أن د. (رفعت إسماعيل) هو رجل (يفهم في هذه الأشياء)..

وكانت قد رأتني البارحة أسير مع (طلعت) زوج أختي عائدين من صلاة العشاء في مسجد القرية..، وأثار ذهولها - تقول هي - ما بدا على وجهي من خطوط معاناة وتقدم في السن...

إلا أنني - تقول هي أيضًا - كنت أوحي بالثقة.. أو على حد قولها (ارتاحت لوجهي السمح)..

وهكذا...

عند العصر كنت أغفو في حجرتي على سريري الخشبي المتهالك، حين دخلت أمي - رحمها الله - لتقول لي إن (سعدية) بنت أبي (إبراهيم) تريدني..!

أثارت ذهولي هذه الجرأة الوقحة.. فلم تصارحني امرأة في حياتي بأنها تريدني برغم أنه لا بأس بي على الاطلاق، ثم عدت لصوابي فأدركت أنها تريد د. (رفعت) لا (رفعت).. والغالب أنها ستأخذ رأيي في أخيها (إبراهيم) الذي لا يأكل كما يجب.. أو يبول دمًا.. أو أي شيء من هذا القبيل..

نزلت متثاقلًا لأرى ما تريد، مشوش الذهن من أثر النعاس..

وعلى المصطبة التي في مدخل الدار جلسنا..

كانت مذعورة ولا ريب.. متوترة دون شك.. ترتجف ولا مراء..

- أغثني يا أستاذ (رفعت)!

- كلي آذان صاغية...
فأخذت بأنفاس مبهورة تحكي لي القصة منذ وجدت ذلك الفتى في المخزن وحتى حطم عظام الأوغاد العشرة..



فأخذت بأنفاس مبهورة تحكى لى القصة منذ وجدت ذلك الفتى فى المخزن وحتى حطم عظام الأوغاد العشرة ..

كانت القصة غريبة.. وأنا لم أعهد في (سعدية) حماقة ولا هستيريا على الأقل أكثر من أية فتاة في عمرها... ثم إن طريقة القتال التي تصفها لا تبدو مألوفة.. بل هي تذكرني بالرياضات العسكرية اليابانية إلى حد ما (في ذلك الوقت لم يكن مخلوق في مصر قد سمع عن الكاراتيه والكونغ فو)..

- والحل يا (سعدية)؟.. ما المطلوب مني؟
- أن تعرف حقيقة هذا الشيء!
- وهل أنا خبير عفاريت؟!
- يقولون كذلك وأكثر.. ألم تتصد للنداهة وأنقذت أخي؟

- بلى.. لكنها كانت نداهة مزيفة.. أعني نوعًا من...

اتسعت عيناها وتجمدت فيهما دمعتان.. لم يكن ثمة مجال للإفلات.. قلت متنهدًا:

- حسن.. كيف أراه؟

❋ ❋ ❋

في المساء أحضرته لي..

كنت جالسًا عند مدخل الدار أحسو كوبًا من الشاي مرتديًا الجلباب - على سبيل العودة للجذور - حين رأيت خيال الفتاة.. يسير جوارها في استسلام شاب رث الثياب مشوش الهيئة مغبرها...

من النظرة الأولى أدركت أنه ليس أبله أبدًا..

ومن النظرة الثانية أدركت أنه غير مصاب بالعته المنغولي الذي فهمت من الفتاة أنه مصاب به.. لا توجد علامات أخرى من أي نوع مثل اللسان المتدلي المشقق وعنق أبو الهول والجمجمة الهرمية وثنية القرود في كفه.. إلى آخر ما جف ريق أساتذتنا وهم يعلمونه لنا..

إن هذا الذي أراه هو - ببساطة - رجل آسيوي..!.. لا تسلني كيف ولا من أين جاء..

أما النظرة الثالثة فأدركت منها أنه قوي كالنمر.. برغم نحوله الملحوظ كانت عضلاته تامة الاكتمال يمكنك عد أليافها واحدة واحدة.. هو قوي كالنمر.. خفيف الحركة كالنمر.. متوتر دائمًا كالنمر..

قالت لي النظرة الرابعة إنه حزين كالغروب..كالخريف..
أما النظرة الخامسة فأكدت لي أنه يداري سرًا هائلًا بين ضلوعه.وأدركت من النظرة السادسة أنني سأثير توتره أكثر بكل هذه النظرات والامتحان البصري الذي عقدته له!!
لهذا ابتسمت وأشرت له كي يدخل الدار..
- شاي يا حاجة..
ناديت أمي وأنا أقود الفتى عبر الدرجات الترابية إلى حجرتي، ثم أومأت للفتاة برأسي أنه يمكنها الانصراف..
أجلست الفتى على الكنبة وجلست جواره محاولًا أن أبدو ودودًا غير عصبي..، إلا أنه كان متوترًا تمامًا.. وأدركت من

اختلاج عضلات فكيه أنه سيثب في أية لحظة ليفر أو يوسعني علقة ساخنة...

- سيجارة؟.

-........

بالطبع لم يأخذ السيجارة ولم يرد..، وجلبت أمي الشاي وهي ترمق الموقف في حيرة فشكرتها.. وقدمت الكوب للفتى فأمسكه بكفه دون أن يشرب.. إن هذا لغريب.. كوب الشاي يتوهج بلهيب الموقد فلا يسعك سوى أن تلمسه بضع ثوان ومن حافته.. أما هو فيمسكه بكل ارتياح وامتلاك، تلك الموهبة التي لا يملكها سوى مرضى الأعصاب الطرفية أو ذوي التحمل الفائق.

ظللنا وحيدين بضع ثوان..

ثم قررت أن أبدأ....
بدأت أسأله عن نفسه فلم يبد عليه أي اهتمام..، لكنني أدركت أن استقباله لأسئلتي هو أقرب لاستقبال اللص لأسئلة المحقق الذي يبغي معرفة باقي أفراد العصابة!.. هو يفهم كلامي لكنه لا يريد الإجابة..
سألته بالإنجليزية.. بالفرنسية.. فلم يبد أي رد فعل إيجابي..
أدركت أننا سنظل ها هنا حتى تقوم الساعة ما لم أجد فكرة أفضل، وهنا تذكرت أن عندي أعدادًا من مجلة (لايف) أحضرتها معي من المدينة.. وكانت إحداها تحوي مقالًا سخيفًا ومستفزًا عن زيارة أعضاء فريق (الخنافس) للتبت، وانبهارهم

بالفلسفات البوذية.. المهم أن المقال كان حافلًا بصور الأديرة وتماثيل بوذا والرهبان صلع الرءوس في ثيابهم الصفراء.. (إن من يذكرون أواخر الستينات يذكرون مشاكل حرب فيتنام وشعارات الهيبيز وموضة الاهتمام بالبوذية وشعار هاري كريشنا هاري راما)..

لم يخب ظني..!

لقد أثارت هذه الصور شغف الفتى.. وبدا منبهرًا إلى حد لا يوصف وإن حاول عدم إظهار حماسه..، وبعصبية وضع كوب الشاي على الأرض..

عيناه تتسعان في شوق ولهفة.. ثم ينظر لي وللمجلة..

- يمكنك أن تأخذها!
ناولته إياها وأنا أكاد أبكي حسرة على ثمنها.. وقلت لنفسي إنه لو كان هناك الكثيرون من أمثال هذا الآسيوي المشتاق لـ (بوذا) فإن خراب بيتي قريب!..
تصفح الصور في ذهول ويداه ترتجفان.. وبرغمه كان يردد كلمات بلغة لا أعرفها.. ثم إنه أشار لي وللمجلة مدمدمًا مرات عديدة:
- أنت.. أنت.. ماهايانا!
أشعلت سيجارة.. وتنهدت في صبر:
- لحظة يا بني.. ولو كنت تعني أنني ذهبت هناك فأنا لم أفعل!
- ماهايانا..

- لا أفهم هذه الكلمة.. ولكن.. لنقل إنني الآن متأكد من أنك بوذي..

بدا عليه عدم الفهم.. عينان زائغتان ترمقانني في حماقة.. من ثم أشرت بإصبعي إلى المجلة.. إلى صورة (بوذا) المتربع في جلسته الشهيرة على عرش اللوتس.. وهتفت:

- (بوذي) يا غبي.. مثل هذا.. هذا.. (بوذا)..

بدا عليه الامتعاض حين فهم.. وأشار إلى نفسه في عصبية:

- أنا.. لا.. لا.. أنا.. (نافاراي)..!

- (نافاراي)؟.. هل هي ديانة جديدة لا أعرفها؟.. إن أديانكم الآسيوية هذه يا بنى

تحتاج إلى عقل أصغر من عقلي بعشرين عامًا كي يتذكر أسماءها...
يبدو أن لسان الفتى قد انفك من عقاله.. إن الصورة التي رآها قد أذابت الجليد نهائيًا فيما بيننا.. والغريب أن كل هذا يؤكد أنه آسيوي.. ولكن كيف؟ ولماذا هذه القرية بالذات؟..
- والآن.. حان الوقت كي أفهم...
سألته في حزم.. فكانت النتيجة مباغتة..، رأيته ينهض وقد أدرك أنه قدم لي أكثر مما ينبغي..
- أنصرف.. أنا
- و.. لكن.. أنا لم افهم بعد...
لم يعطني فرصة للمزيد من الكلام لأنه طوى المجلة في قبضته.. واتجه للباب..،

حاولت أن أمسك بكتفه لكنه تملص ببراعة كالحنكليس - الذي لا أدري ما هو بالضبط - واندفع خارجًا تاركًا إياي واقفًا كالحمقى في وسط الغرفة....

سيكون التفاهم مع هذا الفتى أعقد مما تصورت..

لكني لم أكن على علم بما سيحدث...

❋ ❋ ❋

٧ - إنه هنا!..

فيما بعد علمت أن (الأخرس) عاد أدراجه إلى دار (السقا) تحت أستار الظلام، كان حائرًا تائهًا في دهاليز هواجسه وأفكاره...

لقد بلبلت الصور التي أريتها له أية خطط مستقبلية لديه، فهو واثق الآن من أن عالمه موجود ولم يتبدل كثيرًا.. نفس الثلوج ونفس الرهبان وذات الأديرة.. كأنه لم يبرحه قط..

ولكن.. كيف يصل إلى هناك؟.. ما هي علاقته الجغرافية في هذه الأرض بعالمه القديم..؟.. من هو ذلك الرجل الأصلع النحيل الذي أراه الصور؟.. ولماذا قادته

الفتاة إليه؟.. إن أسلوب تعاملها يوحي بأن هذا الرجل ذا المنظار (يفهم في هذه الأمور).. ولكن أية أمور هيٍ؟.. هل هو يفهم في الـ (نافاراي) مثلاً؟.. ولكنه بالتأكيد لمٍ يسمع عنهم.. واضح فقط أنه يعرف شيئًا عن البوذيين..

والأهم - والأغرب - هو هذه الطريقة العجيبة في حبس الحياة على الورق.. فلم يكن الفتى قد رأى صورة فوتوغرافية في حياته..!

* * *

كانت العاشرة مساء حين دلف إلى المخزن..

وكانت الفئران - صديقته - تتواثب هنا وهناك.. حين نزع جلبابه وتأهب ليبدأ تدريبات المساء....

وهنا شعر بشيء غير عادي..

ثمة شيء على غير ما يرام في المكان..

انحنى على الأرض يتفحصها في توتر باحثًا عن شيء يبرر ما يشعر به من نذير غامض..، وبإصبعين التقط الشيء الذي أثار ريبته.. الشيء الذي لم يتوقع أن يراه قط.. الشيء الذي يعني أن قدره كامن في مكان قريب ينتظر..

هذا الشيء هو قرط صغير ملقى وسط حبيبات الذرة..

ولم يكن قرطه..!

هو يعرف جيدًا هذا القرط ويعرف صاحبه..
أما الأسوأ فخصلة من الشعر الأسود الأملس ملقاة في إهمال على بعد خطوات..
طبعًا لا داعي للتساؤل عن مغزي هذا....
لقد دفن هو مخلفاته بعناية وها هو ذا موضعها كما هو لم يمسه أحد.. ولم تنبشه الفئران..
إن هذه الأشياء تخص واحدًا بعينه..
واحدًا جاء باحثًا عنه عبر الأزمان والمسافات..
واحدًا عرف أنه هنا.. وعرف كيف يتخفى مثله.. وهذا الواحد قد وصل لهذا المكان منذ ساعات بينما كان جالسًا مع الرجل الأصلع ذي المنظار..

إنه (جينغ - تشا) دون أدنى شك..!
لقد نسي الكاهن الأخير الورقة التي تتحدث عن طريقة (شانكين) لأنه انتزعها من كتاب الـ (شوكارا) إذ حاول الهرب.. ولقد وجدها (جينغ - تشا) ومن معه، وأدركوا أن هذا هو الطريق الذي فر منه، وأدركوا أن كتاب الـ (شوكارا) الثمين معه..

من السهل إذن أن تتخيل ما حدث.. لقد عكفوا شهورًا على دراسة الـ (شانكين) حتى توصل (جينغ - تشا) - وربما آخرون - إلى السفر عبر الأثير لاحقين به، ومن المؤسف هنا أن هذه الطريقة اللعينة لا تقود إلا إلى مكان وزمان واحد كما يبدو..

وهم يأملون أن يجدوا طريقًا ما للعودة بعد أن ينتهوا منه..

للمرة الأولى تحرك في أعماقه - وأحشائه - شعور جديد من نوعه لم يخبره من قبل.. الرعب!...

إن (جينغ - تشا) ليس بالخصم السهل..

هو يعرف كل أسرار الـ (نافاراي) تقريبًا.. وهو أستاذ في التفادي وبالطبع لديه خبرة لا بأس بها بالقتال الإيجابي (سارايانا).. الأسوأ هو أنه ترعرع مع الكاهن الأخير ويفهم جيدًا كيف يفكر وكيف يحلم وكيف يتصرف..

لن يسهل عليهم أخذ شيء من الكاهن الأخير وهم يعلمون ذلك.. لكن هب انهم عذبوا أفراد هذه الأسرة الطيبة لإجباره

على الكلام.. هذه الأسرة التي لا ذنب لها سوى أنها آوته..

هو لا يتحمل رؤية أعواد بامبو مدببة تحت أظفار (سعدية)، أو ثعبان يلتف حول عنق أبيها..

إن للـ (ماهايانا) أساليب تعذيب عبقرية تعلموها من الصينيين.. عندئذ لن يجد مفرًا من الكلام.. بل الثرثرة.. ويوم يحصلون على الكتاب.. من يدري ما سيحدث بعدها؟

المصيبة الحقيقية هي أن (جينغ - تشا) قد أخذ أهبته للتخفي والذوبان وسط أهالي القرية كما فعل (هن - تشو - كان)..

لهذا يتحتم أن يغادر القرية أو على الأقل يعرف مكان هذا الشيطان..

ولكن كيف؟..

من السهل أن تبحث عن وافد جديد على القرية.. وافد يتظاهر بالخرس وملامحه آسيوية.. هذا سهل.. سهل لو كنت تتكلم العربية!..

قل لي بربك كيف تسأل حمقاء مثل (سعدية) عن شخص له هذه الصفات مستعملًا لغة الإيماءات؟!..

إن الأمر مستحيل أو هو أقرب ما يكون إلى الاستحالة..

وهنا بدأ (هن.. تشو. كان) يفكر في شخصي المتواضع..

إن شيئًا ما في ذلك الأحمق ذي المنظار يوحي بالثقة.. إن عينيه صادقتان فيهما شيء من الذكاء.. ثم هو - قبل كل شيء -

يعرف (التبت) ويعرف رهبان الـ (ماهايانا).. وربما أكثر..
فلماذا لا تحاول مصارحته..؟
ولماذا لا تجرب طلب عونه..؟
ولماذا لا تلقي بعبء السر الذي يثقل كاهلك بعض الوقت؟

* * *

ولهذا - في الصباح الباكر - أخبرتني أمي أن المعتوه الذي زارني ليلة أمس قد عاد يبغي مقابلتي..
- وهل (سعدية) معه؟
- لا يا بني.. يبدو أن هذا الأبله قد أعجب بك!

- إن كل بلهاء العالم يحبونني يا أماه ولا أدري سبب ذلك!

ابتسمت في رقة وإن لم تفهم دعابتي تمامًا..

ثم إنها خرجت من الحجرة.. ويعد ثوان لمحت وجه الفتى المغلق إذ دلف من الباب وخطوته مليئة بالتردد والحيرة..

جلس - كما طلبت منه - على الكنبة الخشبية.. وشرع يعابث طرف القماش الرخيص الذي يغطيها باحثًا عن بداية مناسبة لما ينوي أن يخبرني به..

بضع دقائق.. ثم همس بصوت غليظ:

- (جينغ - تشا)!

- من؟

- (جينغ - تشا).. هنا!.

تنحنحت وأشعلت سيجارة ومضيت أجوب الغرفة جيئة وذهابًا.. وأنا أغمغم كمن يحدث نفسه:

- اسمعني يا بني.. لربما أبدو حكيمًا.. ولربما يوحى منظاري السميك بعلم لا أملكه.. أنا أعترف أنني أبدو أذكى مما أنا عليه.. ولكن...

وصرخت في غل مشيرًا نحوه بطرف السيجارة:

-.. إذا ظننت أن علمي يصل إلى حد فهم ما تقول.. ومعرفة هذا الـ (جينغ - تشا) وما إذا كان اسمًا أو فعلًا.. فأنت مخطئ!

لم يتحرك.. ولم تختلج عضلة في وجهه..

امتصصت عقب السيجارة في جشع.. وقلت بعد أن هدأت نوعًا:

- أنا أمقت من يحدثونني وكأنني على علم بكل شيء.. أرجو أن تتحدث بشيء من التفصيل.. ومن بداية القصة..

لعق شفتيه بطرف لسانه.. وبدأ يتكلم..

وكانت هذه هي البداية..

بداية دوري أنا..

* * *

استغرق الحديث نهارًا كاملًا.. وكان أعجب حوار يمكن أن يدور بين رجلين..

لك أن تتخيل ذلك المزيج العجيب من العربية الرديئة والإيماءات - التي تصل أحيانًا إلى الوثب عبر الغرفة - والإشارات ورسم الأشكال التوضيحية على (بلوك نوت) قديم بِقلمي..

فهو - مثلًا - لم يكن قادرًا على شرح معنى كلمة (نمر) لي.. فكان يكشر عن أنيابه ويزأر.. من ثم كنت أرسم له أسدًا كروكيًا وأسأله:

- كهذا؟

فيهز رأسه أن لا.. من ثم أرسم له كلبًا.. وتمساحًا.. ونمرًا حتى أدرك أنه يعني الأخير..

وكنت أنا أيضًا أزداد خبرة بمفردات لغته.. لكن بعض الألفاظ كانت عقبة حقيقية.. فمثلًا (الكاهن الأعظم) لم يستطع هو التعبير عنها ولم أستطع أنا فهمها.. إلى أن مد يده إلى صدر الجلباب وأخرج المجلة إياها وفتحها على صورة أحد

رهبان التبت.. وفتح ذراعيه ليوحي لي بمعنى (كبير.. كبير جدًا)..



إلى أن مد يده إلى صدر الجلباب وأخرج المجلة إياها وفتحها على
صوره أحد رهبان التبت ..

وهكذا فهمت أنه يعنى (الراهب الأكبر) أو (الكاهن الأعظم).. وحرصت على أن أتذكر الكلمة: (ساكاسورانا) حتى لا نعود لذات المشكلة مرة أخرى.. (ساكاسورانا).. (ساكاسورانا).. أدعو الله ألا أنساها..!

وحين تحدث عن نفسه باعتباره (ناجا سورانا) أدركت أن (سورانا) معناها (راهب) أو (كاهن) أما (ساكا) فمعناها (أعظم).. إذن فما معنى (ناجا)؟..

فهمت المعنى حين أشار لنفسه مرارًا مؤكدًا:

- بعد لا..!.. بعد لا!
- تعني أنك الأخير..؟
- نعم.. نعم.. أخير...

إذن (ناجا) معناها: الأخير.. وهذا الفتى هو آخر (سورانا) على وجه الأرض.. أي أنه - بالفعل - هو الكاهن الأخير..

وهكذا.. بدأ جدار عدم الفهم يتهاوى..

أية لذة ونشوة غمرتني وأنا أرتاد هذا العالم البكر..! عالمًا لم أتخيل حتى وجوده.. وسنوات نضرة خضراء من المعرفة تضاف لعمري أنا الذي طويت الأميال والأزمان إلى أرض باردة تغطيها الثلوج.. ويحلق فيها الرهبان فوق الأرض..

إن الفتى لا يكذب..

فالصدق يشع من عينيه وصوته وخلجات يديه..

لكني لا أصدق حرفًا..!.. وهذه مشكلتي وحدي..
إنها معادلة صعبة جوابها الوحيد أن يكون الفتى مخبولًا.. أي أنه يخرف لكنه يؤمن تمامًا بهذا الخرف...
لكن الفتى عاقل تمامًا..
حدسي يخبرني بذلك.. وخبرتي الطبية التي - وإن شككت فيها - لن تعجز عن معرفة الجنون حين تراه..
يبقى إذن احتمال واحد..
أن يكون هذا الفتى عاقلًا وصادقًا معًا..
وعندئذ.. يكون (النافاراي) حقيقة لا غبار عليها...

* * *

٨ - الهرب..

حكى لي (هن. تشو. كان) - أو (الأخرس) أو (الزهرة الزرقاء) أو (الكاهن الأخير) - كل شيء عن عقيدتهم.. كما حكى لي ما عرفته أنت في الفصول السابقة..

وسأحاول هنا أن ألخص ما قاله بألفاظي أنا.. فلم يعد داع لأن أغرقك في تفاصيل الحوار الركيك الذي شربته وحدي حتى الثمالة..

قال لي الفتى إن (النافاراي) - مثلها مثل البوذية - ليست ديانة.. بل هي فلسفة للتأقلم مع الحياة[5].

وقال لي إنها انفصلت عن البوذية بعد ما سئم مؤسسها (شيان - قه) من كل تلك السلبية والانفصالية التي تتعامل بها البوذية مع العالم...

إلا أنها ظلت أمينة على الكثير من فلسفات (بوذا)..

كان (بوذا) هو النبيل (سيدهارتا جوتاما) من (نيبال) الذي دربه نساك (البراهمانا) على التقشف..، إلا أن الفتى ظل ظامئًا إلى شيء لا يدري كنهه.. ظل ظامئًا إلى الحكمة وفهم الكون...

وفي (بودجايا) شمال الهند ساقته قدماه إلى شجرة، جلس يتفيأ في ظلها ويتأمل..، ويقال أنه فهم كل شيء في جلسته تلك..

وبعد أيام خرج يخبر الناس أنه وصل إلى الحقيقة..

فما هي هذه الحقيقة؟..

قال (جوتاما) إن هناك أربع حقائق تحكم البشر.. هذه الحقائق هي المعاناة، والرغبة في شيء ما تولد هذه المعاناة، لهذا يجب إطفاء الرغبة في هذا الشيء..، ويجب على المرء أن يتعلم كيف يطفئ رغبته هذه....

ولإطفاء الرغبة في كل شيء وضع (جوتاما) مبادئه المتمثلة في العجلة الثمانية التي يقدسها البوذيون، والتي يمكن تلخيصها في ثلاث نقاط:

١- سيلا: أي السلوك الخلقي.. لا تسرق.. لا تقتل.. لا تكذب.. الخ..

٢ - سمادهي: يجب أن تتعلم التأمل والتركيز.
٣- براجنا: أي الحكمة.. يجب أن يدرك المرء أن كل شيء وهم.. حلم..
من الصعب فهم هذه الفلسفة.. ومن المستحيل تطبيقها..
لكن البوذية انتشرت في آسيا إلى حد كبير.. ومنها نشأ فرعان أساسيان هما:
١. الهينايانا (الناقلة الصغيرة) وهي منتشرة في سيلان وبورما وسيام ولاوس وكمبوديا، ويرتدي رهبانها الثياب الصفراء ويحلقون رءوسهم تمامًا.
٢ - الماهايانا (الناقلة الكبيرة) وقد سبق لنا الحديث عنها..

ويرى البوذيون أن العمل (كارما) يؤدي لنتائج بعضها ضار، لهذا يحاولون الوصول لحالة الانطفاء الدائم التي تلغى نتائج الـ (كارما) وذلك عن طريق التأمل المستمر.

ويسمون حالة الانطفاء الدائم باسم (نرفانا).

وهي اللحظة التي تتلاشى فيها علاقة المرء بما حوله، ويكتمل استغناؤه عن الحياة المادية.

وجاءت الـ (نافاراي) لتلغي أكثر هذه المعتقدات..

وكما قلنا سابقًا تعتمد فلسفة الـ (نافاراي) على تفادي الأذى والتسامح إلى أقصى حد ممكن، لكن إذا زاد الأذى عن حده كان

الرد.. الرد القاسي المرير الذي يدمر الخطر تمامًا..

ويرتدي الـ (نافاراي) ثيابًا زرقاء ويعقصون شعورهم خلف ظهورهم ويعلقون قرطًا في آذانهم..، كما أنهم لا يرفضون منتجات الألبان على عكس البوذيين المخلصين... إن سيطرة الروح على الجسد هي جوهر فلسفة الـ (نافاراي)...

وهم يؤمنون أن البوذيين نصابون.. في حين يؤمن البوذيون أن الـ (نافاراي) أوغاد..، ويؤكدون أن كتاب الـ (شوكارا) مسروق منهم لأنهم هم الأصل في كل هذا الهراء..

وأخيرًا.. لا يعرف بوجود الـ (نافاراي) سوى عدد محدود جدًا من أهل (التبت) لانهم متحفظون.. وأسرارهم لا تخرج للعالم الخارجي أبدًا..
لهذا - أرجوكم - ليبق هذا الكلام سرًا خاصًا فيما بيننا..!

* * *

وفي النهاية علمت ما كان من موضوع (جينغ - تشا) الوافد الجديد على القرية، وعلمت أن سر اطلاعي على كل هذا هو معرفة ما يمكن أن أسهم به في العثور عليه.. فأنا أتكلم العربية وأنا ابن القرية وأعرف ما ينبغي عمله لإيجاد (نافاراي) ضائع..!

أدركت دون جهد أن (هن - تشو – كان) يخشى (جينغ تشا) كالموت ذاته، وأدركت كذلك أن كارثة دانية قد لاحت في أفق حياتي..

سألته وأنا لا أتوقع إجابة:

- وأين أخفيت الكتاب؟

لا إجابة بالفعل.. هو يثق بي لكن ليس إلى هذا الحد..

فليكن..

وبعد أن غادرني الفتى عائدًا إلى عمله، ودعت أمي وركبت سيارتي متجهًا إلى المركز.. كان الغروب يزحف على القرية حين قابلت المأمور، الذي تربطني به علاقة حميمة بعد قصة النداهة إياها..

فما إن رآني حتى احتقن وجهه وتطاير اللعاب من فيه وشرع يصرخ في جنون كأنه يموت:

- أخيرًا!.. هيه أيها العجوز!... تذكرت أصدقاءك!.. هاه!

ظللت واقفًا في هلع منتظرًا حتى تنتهي (عاصفة) مرحه وترحيبه.. وأنا أتساءل في سري: لماذا يصرخ هذا الرجل؟!..

وما إن هدأ حتى جلس منهكًا يلهث وطلب لي شايًا.. ثم سألني عن الريح الطيبة التي ألقت بي هاهنا.. فقلت وأنا أناوله لفافة تبغ:

- أبحث - لأسباب يطول شرحها - عن غريب ظهر في القرية أمس..

هرش رأسه في حيرة.. ثم غمغم:

- مطلب غريب لكن يسهل التحقق منه.. يكفي إرسال الخفراء في جولة سريعة.. ولكن لمه؟

- سيطول شرح أسبابي كما قلت.. ولا تنس أنك مدين لي بخدمة..

- هذا مطلب عادل...

وهكذا...

حين عدت لداري كنت واثقا أن غريبًا لم يزر القرية أمس.. أو - بمعنى أدق - لم يره أحد بعد..

هذا يعني أن (هن - تشو - كان) واهم أو كاذب.. أو أن (جينغ - تشا) أجاد الاختفاء في هذا البلد، فحتى عمال الترحيلة كانوا معروفين لدى مقاولي الأنفار ومن العسير

أن يندس أحدهم بين صفوف هؤلاء العمال..

والسؤال هنا هو..

هل هو يبحث عن الكاهن الأخير أم هو يعرف مكانه وينتظر؟

عندئذ - لو صح كل هذا السخف يكون (هن - تشو - كان) في مأزق حقيقي، والموت يترصده في كل لحظة..

ولكن.. ما شأني أنا بمشاحنات كهنة (النافاراي) من أجل كتاب عمره عشرة قرون؟.. إنني - والحق يقال - إنسان غريب.. غريب.

* * *

إلا أن تلك الليلة كانت أسود ليالي حياتي..

طيلة الوقت يدور شريط المحادثة في ذهني، وأسمع أصواتًا وأرى وجوهًا.. وثمة شعور عارم بضرورة أن أقحم نفسي في هذه القصة..

وحين صاح الديك - أخيرًا - كنت قد أزمعت أمرًا..

إلا أنني حين جلست لألتهم الفطور الذي أعدته لي أمي فوجئت بالفتى آتيًا لزيارتي، وكانت نظرة أمي إليه غنية عن كل كلام.. ألن يتركنا هذا المعتوه وشأننا؟!

أزحت طبق البيض المقلي تجاهه.. وقلت باسمًا:

- هيا يا (هن - تشو - كان).. بسم الله!

إلا أنه لم يبد استجابة.. كان واضحًا أنه قضى ليلة أسود من قلب الكافر، أعصابه منهارة تمامًا.. والإرهاق على كل تجاعيد وجهه التي تضاعفت خلال ساعات.. فقط دمدم بعصبية:

- (جينغ - تشا)!

- لم اجده...

- هو.. هنا..

التهمت لقمة كبيرة ولعقت شفتي التي لوثها صفار البيض.. وقلت:

- أعرف.. لكنهم لم يجدوه..

عض شفته السفلي في حنق:

- هذا.... خطر...

أنهيت طعامي.. ثم بدأت أطرح عليه الفكرة التي ولدت عندي بعد الليلة الفظيعة

التي مرت بي..

لماذا لا يهرب؟..

إن القاهرة كبيرة - حتى في ذلك الزمن - ويستطيع فيل كامل أن يذوب فيها فلا يجده أحد، إذن لماذا لا ينزح للقاهرة؟

ولماذا لا يعيش عندي في شقتي حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا؟

ولماذا لا يحاول العودة للتبت؟.. أنا لا أعرف إذا ما كانت هناك سفارة للتبت في مصر ولا أعرف كيفية استخراج تأشيرة للذهاب إلى هناك.. لكني - على الأقل - أستطيع شحنه إلى (نيبال) أو (الهند) أو (الصين) حيث يكون على مسافة (فركة كعب) من وطنه..!

هو لن يكلفني شيئًا - خاصة وهو لا يأكل اللحوم - وسيسليني إلى حد بعيد في وحدتي، وسيطرد الأشباح من غرفة نومي، ولربما نجحت في إقناعه بتنظيف المنزل والطهي مقابل إقامته!..

واستغرق الأمر وقتًا لا بأس به لإقناعه.. فقد كان ضائعًا تمامًا ولا يدري ما هو الصواب.. لكنه في النهاية وافق..

ثم إنني ذهبت إلى (السقا) فأخبرته بما انتويه.. طبعًا قلت له إن حالة الفتى تهمني طبيًا وسأقوم بعرضها على زملائي في كلية الطب، وأفهمت (سعدية) أن الفتى ليس شيطانًا بل هو مصاب بمرض من نوع نادر يجعله يتصرف بأساليب عجيبة..

في نفس الوقت تسلل الفتى إلى المخزن فحفر الأرض واستعاد كتابه الثمين ثم أعاد ردم الحفرة، وخرج إلينا ليودع - بفتور واضح - الأسرة التي استضافته في هذا الزمن..

لم يكن الفراق مؤثرًا لأن (سعدية) لم تعد تميل إليه بل هي تخشاه كثيرًا في الواقع..

ولهذا - وحين ركب الفتى السيارة جواري - بدا لي أن صفحة القرية قد أغلقت نهائيًا في كتاب حياته..

كان متوترًا راغبًا في الفرار...

وقد أنساه التوتر أن يندهش...

فقد كانت هذه هي أول سيارة يركبها في حياته..!

وطيلة الطريق المرهق إلى القاهرة لم ينبس ببنت شفة، حتى أدركت أنني قارفت خطأً جسيمًا بقبولي اصطحاب هذا الصنم إلى داري.. ولو كنت بالذكاء الكافي لاقتنيت قطًا أو كلبًا.. لكننا لا نملك أن نختار أخطاءنا!

* * *

على أن حياتي لم تكن مملة إلى هذا الحد مع (هن - تشو - كان) ففي الساعة الواحدة من صباح ذلك اليوم صحوت من النوم على صوت جلبة آتية من غرفة المكتب في شقتي.. وكنت أعلم أن الفتى يغفو هناك على حشية فرشتها له على الأرض، لأنه لم يعتد نوم الأسرة.. وكانت هذه هي ليلته

الأولى في داري.. لهذا أضأت الأنوار وهرعت إلىٍ هناك.. فوجدته واقفًا على الأريكة متخذًا وضعًا متحفزًا للقتال وهو يحرك ذراعيه حركات سريعة عصبية لا داعي لها أبدًا..

يا لك من معتوه..!!



فوجدته واقفًا على الأريكة متخذًا وضعًا متحفزًا للقتال وهو يحرك ذراعيه حركات سريعة عصبية لا داعى لها أبدًا ..

- هل جننت أخيرًا؟!

كذا صرخت فيه بعصبية والنعاس لم يبرح جفنيّ بعد..

- تدريب.. أنا.. قتال!

- وهل التدريب لا يحلو لك إلا فجرًا؟!

لوح بذراعه في الهواء.. وهتف:

- (نافاراي).. ليل..!

بدأت أفهم.. فهؤلاء القوم مصممون على مخالفة الطبيعة البشرية في كل شيء، وهم لا يجدون وقتًا أفضل للتدريب سوى حين ينام خلق الله من معدومي اللياقة البدنية مثلي..

ولكن.. من يشرح هذا للجيران؟..

وهكذا اتخذت الإجراء الوحيد الممكن.. أحضرت له قميصًا وبنطالًا من ثيابي وجعلته يرتديهما.. وكان القياس واحدًا تقريبًا، ثم أنني جررته من يده وأغلقت باب الشقة صاعدًا إلى سطح البناية...

كان السطح خاليًا سوى من بقايا قرميد مهشمة.. وبعض أكوام الرمل، وكان كل هذا يتلألأ في ضوء القمر الفضي البارد.. ولما لم يكن هناك من يرانا سوى خالقنا؛ جلست على قالبين من القرميد وأشعلت سيجارة، ثم لوحت بذراعي في الهواء طالبًا منه أن يستمر..

- هيا.. أرني كيف تتدرب..

بدا عليه الرضا لشعوره بالهواء الطلق.. وبدأ يتنفس بعمق.. ثم أنه انتزع القميص

ليقف عاري الجذع كاشفًا عن أجمل - وإن لم يكن أضخم - تكوين عضلي رأيته في حياتي.. كل عضلاته مرسومة محددة كأنما في أطلس تشريح ملون..، وعلى ظهره رأيت وشمًا لتنين مجنح..

وبين دخان التبغ لمحته يأتي بحركات تمهيدية بطيئة.. ثم بدأ يتحرك.. يثب.. يتراجع.. يهجم.. يضرب خصومًا وهميين ويتفادى ضرباتهم.. يتقلب على الأرض..

وسقطت لفافة التبغ من أناملي دون أن أشعر..

إن هذا الذي أراه ليس حقيقيًا.. لا يمكن أن يكون هناك توازن عضلي بهذه الدقة والرشاقة.. لا يمكن أن يكون هذا الجسد من لحم ودم...

* * *

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق.. عندئذ يبدأ فجر الـ (نافاراي).

* * *

كان الكاهن الأخير يطير في الهواء.. يسقط على ذراعيه.. يتقلب.. يرفع وجهه نحو قرص القمر..

لم يعد هناك وكذا أنا.. لقد ذاب تمامًا.. تلاشى في ذلك السر الذي يحكم قوانين الكون ودوران الذرات وهجرات الطيور..

امتزج بالنجوم والليل والقمر حتى غدا جزءًا منها..

كنت أرمق في انبهار (السيلويت) الأنيق المميز له يتحرك أمام قرص البدر المكتمل، فأدركت أن هذا المشهد هو الوحيد الجدير بأن يوضع أمام هذه الخلفية الكونية الخالدة..

ثم كان يدور فتلتمع قسماته وعضلاته في الضوء الفضي الخافت، ولم يكن يشعر بوجودي.. بل - أراهنكم - لم يكن يشعر بوجوده هو نفسه...

عندئذ.. وعندئذ فقط.. أدركت أن هذا الفتى صادق في كل حرف قاله لي.. لقد كان إنسانًا مختلفًا تمامًا عن الآخرين..

لقد كان زهرة زرقاء..

* * *

في الصباح الباكر أزمعت أن أريه القاهرة..

مدينتي الجميلة العجوز المنهكة تتمطى تحت شمس الصباح في كسل..، ومعه نخترق الدروب..

كان مندهشًا من كل شيء.. سأل عن كل مكان.. ويثير فضوله كل ما يراه...

على أن اهتمامه الخاص كان منصبًا على الحافلات.. فهو لم يرها من قبل.. وبالطبع لم يرها في حالة التكدس الجسدي المريع المميز لحافلاتنا، ولقد بدا لي من الطريف أن أدعوه إلى ركوب إحداها..

وشرعت - من طرف خفي - أرمق ذهوله ومحاولته ألا يصطدم بتلك أو يدوس قدم ذاك، لقد كان هذا تحديًا رهيبًا حتى لكاهن (نافاراي) مدرب على التفادي..

ولم يثر منظره أية ريبة لأنه بدا للقوم مجرد سائح آسيوي آخر.. إلا أن حادثًا صغيرًا كاد يكشف أمرنا..

إذ فجأة سمعنا صرخة امرأة، وسمعنا صراخ الناس يدعو السائق أن يتجه لمخفر الشرطة فعلمت أنها القصة المعتادة: هذه المرأة لم تجد حافظة نقودها..، وهنا وجدت شخصًا - بادي الشراسة - يثب من نافذة الحافلة.. مد أحدهم يده ليمنعه لكن اللص أخرج مدية بشعة المنظر لوح بها في وجهه مهددًا.. ثم واصل هربه من

النافذة.. إلى الشارع بين صفوف السيارات..، نظرت بطرف عيني إلى (هن - تشو - كان) لأرى رد فعله.. فوجدت علامات اللامبالاة كاملة على وجهه فأدركت أنه لا يريد لفت الأنظار أو التدخل..

وفي الشارع تصدى أحد الشباب المتحمسين للص.. إلا أن هذا بادره بضربة خفيفة من المدية جرحت وجهه، ثم أطلق ساقيه للريح تاركًا الشاب ممسك وجهه وقد انثنى على نفسه..

كانت هذه هي الغلطة التي ارتكبها اللص وما كان ينبغي أن يفعل..!

إذ في ثوان تبدلت ملامح (هن - تشو - كان).. ورأيته يثب كالنمر من نافذة الحافلة

بين أجساد الناس المحتشدين الذين يرقبون ما يحدث...

ورأيته يركض كالفهد بخطوات لا تصدق خلف اللص..

شعر اللص أن هناك من يقتفي أثره فزاد سرعة جريه.. لكن (هن - تشو-كان) كان يقطع في كل وثبة أربعة أمتار كاملة، وأخذت المسافة بينه وبين اللص تضيق.. وتضيق..

وهنا أدرك هذا الأخير أن الصواب في التوقف والاشتباك.. ومكشرًا عن أسنانه كالذئب وقف في وجه (هن - تشو - كان) ملوحًا بمديته بما معناه: الويل لك إن تماديت..!..

كنا بعيدين عن المشهد.. لكننا جميعًا سمعنا (هن - تشو - كان) يصرخ بصوت مرعب:

- تشا سارايانا!

قالها وهو يباعد ساقيه.. وبالطبع ذهل اللص من هذا لكنه واصل التلويح بسلاحه هناك حيث وقف على الرصيف بمنتصف الشارع..

- جوانغ سارايانا!

ومد ذراعيه إلى أقصى امتداد لهما مباعدًا ما بين أصابعه..

ثم....

- كيو سارايانا!

وهو يرجع رأسه للوراء.... ثم....

بعد ثانية تعالت أصوات ركاب الحافلة يطلبون الرحمة للص الذي تحول إلى خرقة صالحة لتلميع الأحذية.. وبالطبع لم تعد في فمه سن واحدة سليمة..

يا لك من مجنون يا (هن - تشو - كان)... ستجلب علينا القاهرة كلها وكل رجال الشرطة.. وعندئذ ستبدو قصتي عن الـ (نافاراي) عجيبة بعض الشيء.. فضلًا عن احتمال لا بأس به أن يعرف عدوك بهذه القصة..

- سوان هاتشاه سارايانا!!

كذا هتف وهو يرمق بقايا ضحيته المكدسة على الرصيف..

إلا أنني كنت قد لحقت به وجذبته من ذراعه لأبعده عن الزحام الذي بدأ يتبلور

حولنا.. ومضينا نمشي حثيثًا بين الفضوليين الذين لم يجرؤ أحدهم على إيقافنا لأن الذهول كان يعم الجميع..

- أهنئك على الدعاية التي صنعتها لنفسك!.. سنراك في التليفزيون قريبًا تدرّس الدفاع عن النفس..

- أنا.. أضرب.. سيئ..!

- نعم.. نعم.. ولكن سنواصل هذه المناقشة الفكرية فيما بعد..

❋ ❋ ❋

"كالنمر الذي يفضل النوم في الشمس، فلا يخرج مخالبه إلا لحظة الخطر الحقيقي..".

❋ ❋ ❋

هادئة مضت الأيام، ولكنها لم تكن مملة قط..

تعلمت منه الكثير عن فلسفة الـ (نافاراي) و (التبت) والبوذية، وتعلم مني الكثير عن العرب والفراعنة وأكل الفول المدمس..!

الحق أقول لكم إنه كان ظريفًا لطيف المعشر..، وكان يتعامل مع الحياة ببراءة وانبهار يلذان للنفس، بالإضافة إلى أن روحه كانت أطهر من قطرات المطر.. وأنقى من الثلج الأبيض... أما عن إقامته في داري، فلم تكن ثمة مشكلة لأن الجيران اعتادوا كثرة أسفاري وغرابة أطواري.. ولم يجدوا غرابة في أن أستضيف صديقًا آسيويًا في داري..

كان الفتى قد ارتدى بذلات عصرية أنيقة ابتعتها له، وشذب خصلات شعره، واعتاد وضع منظار أسود فاخر.. فبدا كأنه رجل أعمال ناجح قادم من (هونج كونج)..

صحيح أن هناك خطرًا لا بأس به في أن يستوقفه أحدهم سائلًا إياه عن جواز سفره.. وعندئذ سيعتبر متسللًا للبلاد، لكن هذا لم يحدث حتى الآن لحسن الحظ..

* * *

في ذلك اليوم الكئيب حدث ما أخشاه..

كان (هن - تشو - كان) قد نزل يتجول بالجوار كعادته في الأيام الأخيرة، في حين كنت منهمكًا في تقشير البصل في المطبخ

والمخاط يسيل من أنفي مخلوطًا بالدمع..
حين رن جرس الهاتف..
خرجت للصالة لأجيبه وأنا أمسح أنفي في كتف البيجامة ومنظاري مكسو بالدموع..
ومن الهاتف دوى صوت (طلعت) زوج أختي صارخًا:
- كيف حالك يا دكتور؟
أدركت أنه يتحدث من الهاتف الوحيد بقرية (كفر بدر) الموجود عند العمدة.. وهو من نوع الهواتف التي تعمل بالـ (مانفلا)، وترغمك على الصراخ حتى ليسمعك الطرف الآخر دون هاتف..!..
أخذ يسألني عن كل من بطرفنا.. وأنا أرد في اقتضاب أن أحدًا لم يمت بعد للأسف..،

وهنا صاح في مرح:
- هل ما زال (الأخرس) عندك؟.. لقد سأل عنه أخوه أمس!
- أخـ.. أخوه؟!
ضحك - من قلبه - وبدأ يفسر لي (ضربة المعلم) التي حققها:
- أمس كنت مع الحاج (محمد السقا) حين مر علينا سائق لوري صديق من القرية المجاورة وسأل عن شاب غريب الملامح وفد على قريتنا من شهر أو أكثر.. قال لنا إنه يبحث عنه لأنه شقيق (التبّاع) الذي يعمل معه، وهو فتى يشبه صاحبنا تمامًا في ملامحه.. وإن كان يتكلم قليلًا.. وقد قال إنه يبحث عن أخيه في (كفر بدر) لأنه ضاع منه منذ شهور...

كان مخي يغلي بالحمى بينما (طلعت) يواصل حكايته:

- الغريب أن هذا (التبّاع) هو نفسه غريب الملامح غريب الأطوار ظهر فجأة في تلك القرية، وأراد سائق اللوري أن يكسب فيه ثوابًا فأخذه ليعمل معه.. وتطوع ليساعده في البحث عن أخيه..!

فتحت فمي لأسأل السؤال الذي سأجن لو لم أسأله:

- وهل.. هل أخبرتماه عن (الأخرس)؟!

- بالطبع.. وماذا تظن؟.. إن الإنسان قلما يجد فرصة ملائمة لعمل الخير كهذه الفرصة!.

- و... و... أخبرتماه بعنواني في القاهرة؟

ضحك في فخر.. وصاح:

- طبعًا.. وكتبته له على ورقة صغيرة.. سيكونان عندك اليوم أو غدًا على الأكثر.. ولكن ماذا حدث يا دكتور؟.. هل أنا أتوهم ما أسمعه أم أنت حقًا تبكي؟!!

................!

❋ ❋ ❋

٩ - (جينغ - تشا)..

الفرار!.. الفرار..!

تسلطت الفكرة على ذهني فلم أستطع إيجاد سبيل لمنطقة ما سمعت..، الفرار!.. إنه آت لداري أنا بالذات.. ذلك الكاهن الفاشل المتعصب المولع بالدماء والسلطة..

إنه قد أجاد لعبته..

فر - بمجرد وصوله - إلى القرية المجاورة، وذاب هناك بين القرويين بأسلوب شبيه بأسلوب (هن - تشو - كان)، ثم إنه بدأ يعمل على عربة لوري... وحكى لسائقها قصته الحزينة.. قصة الأخ الضائع بين القرى باحثًا عن أخيه المتخلف عقليًا،

ولم يملك السائق سوى أن يساعده وطبعًا كانت (كفر بدر) هي المرشحة الأولى للبحث.. وها هو ذا قد وجد ضالته دون جهد..

وها هو ذا قد....

ترررررررن!..

كان جرس الباب قد أغلق دائرة كهربية تتصل بجهازي العصبي، فأجفلت ووثبت لأعلى مترًا.. ثم إنني استجمعت شجاعتي وانتظام ضربات قلبي.. ففعلت أول ما ينبغي عمله.. دسست قرصًا من الـ (نيتروجلسرين) تحت لساني كي لا تخذلني شراييني التاجية..، واتجهت للباب عالمًا أن القادم ليس سوى (هن - تشو - كان)

الذي لم أعطه نسخة من مفتاح الشقة.. سأحكي له كل شيء فورًا..

ولم يكن القادم هو (هن - تشو - كان)..

كان فلاحًا مشعث الشعر تحت طاقية صوفية قذرة، وكانت لحيته نامية وعلى جسده جلباب بال..، وقبل أن أسأله عن مرامه أدركت دون جهد أنه هو...!..

(جينغ - تشا)!.. أعرف هاتين العينين الضيقتين والبشرة الصفراء والوجنتين البارزتين..، إن من يحمل هذه السمات لا يمكن إلا أن يكون آسيويًا.. وبالتحديد من منطقة التبت.. وللدقة لابد أن يكون هو (جينغ - تشا)!.. من غيره؟!..

قبل أن أقرر ما أفعل، لمحت عينيه الباردتين القاسيتين تنظران لوجهي في

ثبات.. وفي صوت غليظ تساءل:
- داكتر ريفات؟!
- نعم.. نعم.. دكتور (رفعت).. هذا أنا..
ومددت يدي لأغلق الباب في وجهه..
وهنا لا أذكر ما حدث..

لقد كانت انعكاسات هذا الفتى تفوت القدرة التحليلية لخلايا شبكيتي.. ولا يمكن فهم ما حدث إلا بتصوير المشهد بكاميرا سينمائية تدور بسرعة ألف كادر في الثانية، يتم بعدها عرض الفيلم بسرعة أربعة وعشرين كادرًا..

فجأة وجدت نفسي ملقى في ركن الصالة.. وكان هو قد دخل الشقة وأغلق الباب خلفه.. بل حطم منظاري..

لم أستشعر ألمًا لأن الذهول أضاع كل ألم..، ومضيت أراقبه فٍي توجس وهو يدور في أركان الشقة باحثًا في كل غرفها عن شيء ما.. ثم رأيته يعود لي ويقف أمامي.. ويصرخ بصوته الغليظ:

- (هن - تشو - كان)؟!

لم أر فائدة من التظاهر بالجهل.. فقلت ململمًا أشلاء كبريائي المبعثرة:

- خرج..

نظر لي في ريبة بضع ثوان.. ثم قرر - كما يبدو - أن يعقد لي امتحانًا سريعًا..

وقال بتؤدة:

- (شوكارا).. أين؟

أدركت أنه شبه متأكد من أنني أجهل الموضوع، فهو يتوقع - وهذا حق - أن

الكاهن الأخير لم يصارحني بمكان الكتاب إن كان صارحني بوجوده اصلًا.. وصممت أن أبدو بريئًا وغبيًا إلى أقصى حد..

إلا أنه انحنى إلى جواري.. والتقط بين إبهامه والسبابة بعض الشعيرات من سالفي.. وشدها.. آآآآه**!**.. يا للألم**!**.. كأنه ينتزع جزءًا من مخي.. كف عن هذا..**!**.. كف..



إلا أنه انحنى إلى جوارى .. والتقط بين إبهامه والسبابة بعض

الشعيرات من سالفى ..

- اسمعني يا أسـ.. آه ه!.. أستاذ.. أنت رجل متحضر وابن ناس ويمكننا ان نتفاااااااااهم!.. آي!

- (شوكارا) أين؟

غريب هذا!.. هو واثق من أنني أجهل مكان الكتاب.. لكنه مصمم على تعذيبي إلى آخر درجة يكون بعدها واثقًا تمامًا..

- (شوكارا).. أين؟

آي..!.. كيف أخبر هذا المعتوه أن تعذيبه وصل للذروة وأن ما يتحمله الـ (نافاراي) ليس هو ما يتحمله شيخ فان مثلي؟

- (شوكارا).. أين؟

ترررررررن!

جرس الباب!.. جاء في وقته لأنه أجفل وأطلق سراحي - الفتى وليس الجرس - وتفكر في الموقف هنيهة..
ثم إنه نهض واتجه للباب ووقف خلفه.. ثم مد يده ليفتحه مبتعدًا عن مجال بصر من يدق الجرس..
انفتح الباب ودلف منه الوجه المألوف الجديد لـ (هن - تشو - كان).. في يده كيس مليء بالبيض ابتاعه من السوق وعلى ثغره ابتسامة الظفر كطفل بعثته أمه للسوق أول مرة وعاد موفقًا..
وفي مرح التفت ليحدث من حسبه أنا.. ذلك الذي فتح له الباب..
وهنا التقت العينان.. وفهم كل شيء..
وانغلق الباب محدثًا جلبة..

* * *

ساد الصمت المكان فلا شيء سوى صوت أنفاسنا..

ثم أن (جينغ-تشا) اقترب في تؤدة من (هن - تشو - كان) وهو يبتسم في لزوجة..، وللمرة الأولى أرى الرعب في عيني الكاهن الأخير.. نظرة فأر وقع في المصيدة.. أو قط ترتفع حوله مياه الفيضان.. أو كلب تحيط به الأفاعي.. أو أفعى في جحر المانجوست.. أو أي رعب تتخيله..

بدأ (جينغ - تشا) يتكلم بلغة لا أعرفها..

كان صوته غليظًا بطيئًا مليئًا بالسخرية والغرور والتوعد..

أما (هن - تشو - كان) فكان يرد بعصبية وتوتر بينما المقت يلتمع في عينيه.. كانا يتبادلان الاتهامات والسباب طبعًا...

وهنا بدأت أستعيد صفاء ذهني..

حتمًا سيحدث صراع دموي..، وليس لي أن أخشى شيئًا على (هن - تشو - كان) لأنه الأفضل تدريبًا.. لكن له نقطة ضعف واحدة.. هي أنا!..

نعم.. بالتأكيد سيحاول (جينغ - تشا) تهديد حياتي للضغط على خصمه، وبالتالي لن يكون جبنًا مني أن أحاول الانسحاب في صمت لأن وجودي سيزيد من متاعب الكاهن الأخير فقط...

وببطء.. ببطء ببطء بدأت أزحف نحو باب الشقة.. كانت محادثتهما مستمرة لهذا

نسيا وجودي تمامًا..
وفجأة بدأ الاشتباك...
كنت عند منتصف الطريق إلى باب الشقة حين سمعت صوت سوط يشق الهواء فأدرت رأسي لأرى..
لم يكن سوطًا بل هي ذراع (جينغ - تشا) التي امتدت تمزق الهواء تجاه بطن الكاهن الأخير، وكانت أصابعه متخذة وضعًا غريبًا كالعنكبوت مما جعلني أرجح أنها إحدى قبضاتهم السرية..
وهنا أثار ذهولي ما حدث..
لقد تقوس (هن - تشو - كان) للأمام قدر استطاعته مبعدًا تجويف بطنه عن القبضة، ثم أستعاد توازنه.. وتفادي ركلة شنيعة كادت تنسف رأسه..

كان يتفادى.. يتفادى كأفضل ما يكون..

❋ ❋ ❋

"لو أن لصًا هاجم دارك فلن يمنعه (التفادي) من سرقتك... لن يمنعه من إيذاء أمك العجوز.. لن يمنعه من تمزيق كتب صلواتك وسكب زيت الموقد..".

❋ ❋ ❋

- تشا سارايانا!

صرخ (هن - تشو - كان) وهو يباعد ما بين ساقيه..

وهنا لمحت لمحة من الذعر ترتسم على وجه (جينغ - تشا)...

- جوانغ سارايانا!

صرخ الكاهن الأخير وهو يباعد ذراعيه عن جسده.. ثم أردف بالصيحة الأخيرة وهو يعيد رأسه للخلف (لقد صار هذا المشهد مملًا):

- كيو سارايانا!

واندفع كالسهم الذي تحرر من قوسه نحو خصمه الأزلي..

ما أروعه من مشهد!.. للمرة الأولى أرى قتال الـ (نافاراي) يدور بين خصمين متكافئين.. لم يكن (جينغ - تشا) بالخصم السهل، وبدا لي أنه يعرف مكان واتجاه كل ضربة ويعرف كيف يتفاداها قبل أن تلمسه.. مزهرية ثمينة تتهشم.. ثم أخرى..!

صحت في هلع وأنا أقف فيما بينهما:

- أتوسل لكما.. أصعدا إلى سطح البناية فهناك متسع للجميـ...

وهنا وجدت نفسي وقد طرت لأسقط على الأرض في ركن الصالة وكل عظامي تئن.. من ضربني؟ ومتى؟ وكيف؟.. لا أدري... المهم أن الشخص العادي مثلي هو ذبابة إذا ما اشتبك مع هذه الوحوش، ولربما كان الأوفق لي أن أبادر بالفرار من هذا السيرك..

ترررررن!..

جريت مترنحًا لأفتح باب الشقة.. فوجدت جاري الأستاذ (زكريا) مدرس الجغرافيا الذي يقطن بالطابق الأسفل.. وكان يرتدي البيجامة وطاقية صوفية ووجهة محتقن كالطماطم.. ويصرخ:

- ماذا دهاك أيها المنحل؟.. هل جننت؟!
أدركت أن الجلبة التي أحدثها الصراع كادت تسقط السقف فوقه..
قلت له في رقة مفسرًا:
- معذرة.. ولكن عندي كاهنين من الـ (نافاراي) من القرن السادس عشر، وهما يتصارعان الآن.. أنت تفهم هذه الأمور!
فتح فاه في ذهول ليقول شيئًا.. وهنا فوجئ بـ (جينغ - تشا) يبرز من داخل الصالة حاملًا كرسيًا خشبيًا ثقيلًا وهو يعوي كالذئاب ويهوى به على رأس (هن - تشو - كان) الذي تلقى الكرسي على ساعديه.. فتهشم الخشب متناثرًا في كل مكان..
- مجنون!.. كلكم مجانين!

صاح في ذهول وهلع وهو يولي الأدبار قائلًا كلامًا كثيرًا عن حياة العزاب.. وعن توقعه أن القيامة ستقوم في موعد أقصاه هذا الشهر.. وعن الحكومة التي تترك أمثال هؤلاء ينعمون بالحرية..

ولحقت أنا به وقد أدركت أن الوقت قد حان لذلك..

هبطت خلفه درجات السلم ومعه دخلت من باب شقته، فما إن أدرك أنني وراءه حتى صرخ في عصبية:

- ماذا تبغي أيها الاحمق؟

ثم صرخ في ابنته الشابة التي هرعت بقميص النوم لترى ما هنالك:

- وأنت!.. ادخلي غرفتك فورًا!

صحت في توتر محاولًا جعله يفهم الموقف:
- أستاذ (زكريا).. صدقني.. ليس الوقت مناسبًا لآرائك الخاصة في.. إن هذين الشابين في شقتي سيقتل أحدهما الآخر.. يجب أن نطلب الشرطة فورًا..
كان دوي المعركة فوق رؤوسنا مستمرًا حين نظر الي الرجل في حيرة.. ثم غمغم:
- إذن هما ليسا من شلة السوء الخاصة بك؟..
ارتفع الدم إلى رأسي:
- أية شلة سوء؟!.. هل سبق أن عرفت لي أصدقاء؟!.. وأي سوء يرجي من كهل أصلع مصاب بالربو والذبحة الصدرية

مثلي؟!.. هلم هات الهاتف قبل أن تغرق الدماء سلالم المبنى..
بدا كأنه اقتنع.. فهرع يحضر لي التليفون وهو ينظر للسقف في حيرة متوقعًا أن ينهار بين لحظة وأخرى..
أدرت الرقم الرهيب - والمطمئن برغم ذلك – ١..٢.. ٢.. وانتظرت برهة دون جدوى.. لا حرارة على الإطلاق..
إن المصائب لا تأتي فرادى..
سأحاول طلب الشرطة من شقة اللواء (محمد حليم) إذن..
هرعت للباب على حين وقفت الفتيات الخمس - بنات الأستاذ (زكريا) - يرمقن المشهد في حيرة، فصاح فيهن أن يدخلن

حجراتهن كأنه يهش ذبابًا، وعند الباب توقفت وتراجعت خطوة للوراء..

لقد أدركت أننا في مأزق..

مأزق حقيقي...

كان هناك شاب آسيوي الملامح، يرتدي قميصًا وبنطلونًا متسخين، يقف على باب الشقة حاملًا نصلًا كئيب الشكل.. وفي تؤدة أشار لي أن ألزم مكاني ولا أتحرك..**!**..

- ما هذا؟.. من هو؟..

تعالت الصيحات متسائلة.. أما أنا فأغلقت الباب وعدت إلى داخل الشقة وأشعلت سيجارة وأنا أجلس على الأريكة مفكك الأوصال.. إذن لم يأت وحده**!**

- د. (رفعت).. من هذا الرجل؟.. ماذا يريد؟

رفعت رأسي ببطء شديد وكأنني كنت أحلم..
وفي غموض همست:
- لقد جاءوا خلفه!

❋ ❋ ❋

١٠ - الخاتمة..

لقد جاءوا خلفه..!

لم يكن (جينغ - تشا) هوٍ الوحيد الذي اجتاز الزمان والمكان باحثًا عن الكاهن الأخير.. بل تبعه بعض رهبان الـ (ماهايانا) ليشدوا من أزره.. لا يحتاج المرء لكثير ذكاء كي يدرك أننا محاصرون..

ربما البناية كلها محاصرة..

وهذا يعني أننا رهائن مستمرة للضغط على (هن - تشو - كان) كي يسلم الكتاب الثمين لهم، ولقد لعبوا لعبتهم بذكاء حق..

أدركوا أن الكاهن الأخير لن يهزم.. وإذا هزم فلن يستسلم ولن يتكلم..

ولم تكن هنالك سوى طريقة واحدة للضغط عليه، تلك الطريقة التي فررت من شقتي كي لا أمنحها لـ (جينغ - تشا).. استخدام الآخرين..

الهاتف؟.. هل نسيت أنه معطل؟.. وأنهم هم معطلوه دون أدنى شك...

لقد فهم هؤلاء الأوغاد مفردات عصرنا وأهمية الهاتف بسرعة..، أسرع مما ينبغي في الواقع..

والآن.. أملنا الوحيد هو أن نغلق أبوابنا وأن نرجو التوفيق للكاهن الأخير في معركته المصيرية التي تدور فوق

رؤوسنا.. ربما لو سلم لهم الكتاب تكون هنالك فرصة..

لكني أشك كثيرًا في ميول هؤلاء السادة السلمية. ولا أعتقد أنهم سيشكرونه ويوجهون لنا عبارات الاعتذار وينصرفون....

المصيبة الحقيقية هي أنني من جلب هذه المصيبة للبناية..، والآن تواجه عشر أسر ورطة لا مفر منها فيما يبدو..

***

والآن حان الوقت كي أتمنى لكم ليلة سعيدة وأترككم.. أرى بعضكم يشد كمي.. وأسمع بعضكم يتساءل: وماذا حدث بعدها؟.. هل أنتم حقًا مهتمون بذلك؟..

كنت أعتقد أنكم لن تجدوا ما يثير في حصار بعض البوذيين لسكان بناية بينما يتصارع كاهنان في إحدى الشقق... ليكن لكم ما تريدون..

سأحكي ما حدث بالتفصيل..

لكنها قصة طويلة، وقد قاربت الليلة على الانتهاء.. إن النوم شيء حيوي للشيوخ مثلي..

ربما في الليلة القادمة.. أو ربما ليلة أخرى أستكمل القصة.. قصة العجلة الثمانية ومومياء (شيان - قه) الراقدة بين الثلوج ورقصة الموت.. و.. و..

لكن هذه قصة أخرى.

د. رفعت إسماعيل

القاهرة ١٩٩٣

[تمت بحمد الله]

رقم
الإيداع:
١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس



ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة الكاهن الأخير

الكاهن الأخير يعرف كيف يقاتل، الكاهن الأخير يعرف كيف يتخفّى، الكاهن الأخير يعرف كيف يتظاهر بالخرس حينًا وبالبلاهة حينًا، الكاهن الأخير لا يثق بأحد .. لأن أعداءه لا يرحمون .. والموت جزاء أدنى خطأ .. الكاهن الأخير يتحداك فهل تقبل التحدي؟!





د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة البيت

الثمن في مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

Notes

[←1]

الإسم الأصلي لـ(بوذا).

[←2]

يؤمن البوذيون بأن هناك طبيعتين في الإنسان هما (الين) و (اليانج).. إحداهما أنثوية متقلبة ثرثارة والأخرى ذكورية قوية هادئة صموت، والإنسان هو محصلة القوة الغالبة عليه.

[←3]

الماهايانا): هي العقيدة البوذية التي تمارس في) التبت ومنغوليا والصين واليابان، ومعناها (الناقلة الكبيرة)، ومنها تتفرع ديانتاً (اللاما) في التبت و .(زن) في اليابان

[←4]

أحيانا يسمى بـ (متلازمة داون).

[←5]

مذهب (النافاراي) هو وليد خيال المؤلف بأكمله، لكن ماذكر هنا عن البوذية صحيح تمامًا.